

## النظام الاجتماعي القبلي واثره على الدور السياسي والحضاري للزيدية في اليمن

مقاربة سوسيولوجية لتجربة الحادى الرسي السياسية (284-298/897-911)

عبدالملك العجري<sup>1</sup>

### Özet

#### **Yemen'de Kabile Esasına Dayalı Sosyal Yapı ve Bu Yapı'nın Zeydiyye'nin Siyaset ve Medeniyet Alanındaki Rolüne Etkileri: Hâdî Ressî'nin Siyasi Tecrübesine Sosyolojik Bir Yaklaşım**

Bu makale Yemen bölgesindeki kabile esasına dayalı sosyal yapı ve bu yapının Zeydiyye mezhebinin bu bölgedeki siyaset ve medeniyet alanındaki rolüne etkileri üzerinde durmaktadır. Makalede gerek klasik ve gerekse çağdaş tarih ve sosyoloji kaynaklarından yararlanılarak çözümler yapılmıştır. Yemen bölgesinin gerçek coğrafi yapısı ve gerekse kabile esasına dayalı toplumsal yapısı, Zeydiyye mezhebinin oluşumunu etkilemiştir. Bu iki etkene dayanarak Zeydiye'nin Yemen'deki gelişimi ve bu bölgede kökleşmesi sosyolojik bir bakış açısıyla analiz edilmiştir. Bilhassa 284-298/897-911 dönemleri arasında Hâdî el-Ressî'nin Yemen bölgesinde yaşadığı siyasi tecrübe, sosyolojik bakış açısıyla tahlil edilerek değerlendirilmiştir.

**Anahtar Kavramlar:** Mezhep, Şia, Zeydiyye, sosyoloji, Hâdî el-Ressî, kabile.

## مدخل

لم يكن الصعود السياسي للعائلة الاموية محل رضا وترحيب من قبل قوى سياسية ودينية واجتماعية مؤثرة واساسية في المجتمع الاسلامي ووفوق هذا زادت سياسية الدولة الاموية والتحولات السياسية والاجتماعية والفكرية التي احدثتها في المجتمع الاسلامي من اثاره النقمة عليها وواجهت معارضة سياسية وحركات احتجاجية مسلحة وثورية كالثورة التي قادها الحسين بن علي وثورة عبدالله بن الزبير وثورات الخوارج ... وقد افرز اشتداد الدولة الاموية في السبط الشيعي والوحشية في قمع خصومها والنهاية الدرامية لمذبحة كربلاء افرزت عن عدد من المواقف السياسية واحتلت بعض قوى المعارضة في مراجعت حسابها فمال البعض لسياسة الماهنة والتكييف مع الوضع القائم واللحواء الى التبرير وقد شجعت الدولة الاموية على تنامي هذا التوجه وزهد اخرون في السياسة مفضلين المعارضة السلبية بالانسحاب من الحياة العامة، وفريق اثر الوقوف على الحياد وفريق اخر راي الاكتفاء بالمقاومة الفكرية وبقي فريق يرفض التكيف مع الوضع القائم او الماهنة معه وغير قابل بسياسة الامر الواقع ويرى ان تردي الواقع السياسي والبعض الاجتماعي يستدعي التحرك بكل السبل والوسائل المتاحة بوجه التمادي الاموي وكان على راس هذا الفريق الامام زيد بن علي (80-122) مؤسس المذهب الزيدية والى وقت قيام ثورة زيد كانت المعارضة السياسية حركة بدون عقيدة محددة والجدل العقدي كان لا زال في بدايته لم يتبلور بعد في منظومات عقدية توزع المسلمين على اساسها الى فرق وطوائف ولذلك كان معسكر الامام زيد لغيفا غير متجانس مذهبيا . وادى اخفاقه في الاطاحة بالحاكم الاموي هشام بن عبد الملك (71-125) الى زيادة تعزيز الفرز للمواقف السياسية في معسكر الامام زيد نفسه وملكونات المجتمع الاسلامي بشكل عام ، وكان كل مكون من هذه المكونات يتاثر في قرائته للدين بموقفه السياسي . معنى اخر كان كل فريق يصوغ منظومته العقدية والشرعية بما ينسجم و موقفه السياسي او يوحي منه ومن ثمت اصبحت الزيدية ايديولوجية الثورة ومن ناحية اخرى ضاعف اخفاق الثوار من محنة المعارضين للدولة الاموية لا سيما العلوين وعمدت السلطات الاموية ومن بعدها العباسية الى تكثيف اجراءاتها القمعية ضد العلوين واتباعهم ما دفع بهم الى التفكير في اماكن اخرى بعيدا عن اعين الدولتين سيما تلك الواقعة في الاطراف حيث تضعف قبضة الدولة فلجا ادريس بن عبدالله (تـ 177) الى المغرب الاقصى في افريقيا ليؤسس هناك الدولة الادريسيّة الزيدية الا انها لم تستمر طويلا فقد انتهى امرها بسقوط مدينة فاس بيد الدولة الفاطمية

عام (212) وبسقوط فاس انتهى امر الزيدي بالغرب سياسياً وفكرياً، وفي طبرستان جنوب بحير الخزر اسس الحسن بن زيد بن محمد (270) الملقب بالداعي الدولة الزيدية وقد اخسر هي الاخرى الوجود الزيدي فيها لصالح الشيعة الاثنا عشرية .

وفي النصف الثاني من القرن الثالث الهجري انتهت القيادة الروحية للزيدية الى يحيى بن الحسين الرسي (245-298) الملقب بالهادي الى الحق الذي اسس الدولة الزيدية في اليمن والتي تعد اطول الدول الاسلامية عمرًا

وقدف هذه المقاربة السوسيولوجية الى التعرف على اثر التركيبة القبلية للمجتمع اليماني على الدور السياسي والحضاري للزيدية في مرحلة من اهم مراحلها وهي مرحلة التأسيس وإعادة قراءة تجربة الحادي الرسي وحركته الاصلاحية في ضوء تقللها لمنظومة البنى التحتية للمجتمع اليمني كما كانت على عهده، على اساس ان أي تجربة سياسية تأتي على راس شبكة من العلاقات المتداخلة بين المتغيرات البنوية للمجتمع الاقتصادية والاجتماعية والمعرفية والتي تعكس نفسها في تشكل وصياغة التجربة السياسية .

وهي ليست اكثرا من محاولة قد لا يخالفها الحظ في تحقيق نتائج هامة نظراً لأن الوقت كان مضغوطاً أكثر من اللازم وثانياً المصادر التاريخية التي تناولت العهد السياسي لم تكتم لتاريخ الحياة الاجتماعية والمعرفية والاقتصادية وكان تركيزها على تسجيل سير احداث الصراع العسكري واسباب اخرى ولذلك هي ليست اكثرا من خطوة على الطريق

ونهدى لذلك بالحديث عن شخصية الحادي باعتبارها مدخلاً أساسياً لفهم تجربته السياسية ومشروعه الإصلاحي.

تشير بعض النظريات الاجتماعية أن هناك أشخاص يولدون ليكونوا قادة وإذا صحت هذه النظرية فإنما لانطبق على احد قرر انطباقها على شخصية الحادي يحيى بن الحسين (245-297) كما تصورة المصادر التاريخية - فهو من نوع تلك الشخصيات التي خلقت للتولي مهاماً قيادية غير عادية إذ ولد مزوداً بـ بiolوجيـا بأهم السمات المكونة للشخصية القيادية .

يتحدث المؤرخون عن نشأته انه كان في صباح يدخل السوق ويقول ما طعامكم هذا فيقال حنطه فيدخل يده في الوعاء فإذا حذر ما في كفه ويطحنه بيده ثم يخرج ويقال هذا دقيق وروى أبو

طالب انه كان غلاما حزروا بالمدينة وكان طبيب سرياني يختلف إلى أبيه الحسين بن القاسم على حمار يعالجها من مرض أصابها فتول عن الحمار يوما وتركه على الباب فأخذ يحيى الحمار واصعده السطح فلما خرج الطبيب لم يجد الحمار فقيل صعد به يحيى فسُؤل ان ينزله ومن ثم المثل السائر يتزل الحمار من صعد به فانزله وقد دميت نابه بلغ ذلك أباه فرجره وخاف أن ترممه العيون" وكان يعمد إلى القظيب من الحديد فيلوه على عنق خصمه ثم يعاد إلى تسويته ما يدل على متانة بنائه الحسدي الخارجي وكان يزيد من هيته الهيكل الاسدي كما تصوره المصادر التاريخية على " انه كان اسدية اجمل العين واسع الساعددين غليظهما بعيد ما بين المنكبين والصدر خفيف الساقين والعجز كالأسد"<sup>1</sup>

و بالإضافة إلى متانة بنائه الحسدي بدت عليه مبكرا ملامح النجابة والنباهة واظهر عن مقدرات عقلية متقدمة تذكر بعض الروايات انه بدا التصنيف وله من العمر سبع عشرة سنة<sup>2</sup>

وقد تضافرت هذه العوامل في تشكيل وبناء ديناميت الجذب لشخصيته وإخراجها على نحو كارزمي مؤثر، يستشف هذا من مظاهر الإجلال والتعظيم التي كان يحظى بها في محیطه العائلي والاجتماعي بحسب شهادة الناطق بالحق بأنه لم يسمع "بأنه بلغ من تعظيم بشر لإنسان ما كان من تعظيم أبيه وعمومته له ولم يكونوا يخاطبونه إلا بالإمام<sup>3</sup>".

و من دلائل تميزه اعتراف العلميين بزعامته ولعل هذا هو ما حمل الرئيسي وخاصة في الحجاز يعتقدون له البيعة 893/280 قبل ان يفكرا بالذهب إلى اليمن وهو ابن خمس وثلاثين سنة مع وجود أبيه وأعمامه على قيد الحياة. وكانت شخصيته الكارزمية تفرض حضورها الطاغي والمثير في أي مجلس يشهده ويشير حفيظة منافسيه كما حدث للداعي محمد بن زيد حاكم طبرستان بعد ان قصدها في جماعة من اهل بيته بينهم أبوه وبعض أعمامه ونزو لهم بخان العلا بأمل وما كاد يستقر بهم المقام حتى تقاطر عليهم أهالي طبرستان حتى ضاق الخان بالناس وكاد السطح يسقط ، وقد انزعج الداعي لذلك ولم يستطع أن يخفى تحفظه. وكانت المكانة الدينية والعلمية للقاسم بن إبراهيم (246-169) الذي كان يلقب بالأوساط العلمية (ترجمان الدين) تزيد من مهابة

<sup>1</sup> الحسن حسام الدين حميد بن احمد الحلبي، الحداائق الوردية في مناقب ائمة الزيدية (مخطوط) ج 2 ص 15.

<sup>2</sup>-نفس المصدر.

<sup>3</sup>-يحيى بن الحسين الماروني، الأفاداة في تاريخ ائمة الزيدية، تحقيق محمد عزان، ط ١، دار المحكمة اليمانية -صنعاء (1996)، ص 134.

المادي مع همه ترقى إلى سماك السماء ونبل واستقامة أخلاقية فيحيي كما يقول الشماعي " كان مثلاً لصفات القائد والقدوة الحسنة لأتباعه مترفعاً عن الأهواء وسفاسف الأمور وعن المعنى شجاعاً في المعارك والأهوال وفي تطبيق ما يؤمن به ويدعوا إليه معتدلاً حتى مع أعدائه<sup>1</sup>"

وكان كتلته متفجرة من الطاقة والحيوية والنشاط والثقة واعتداد بالنفس . صلب أمام عوادي الدهر لا يخور ولا يبور ولا تشيه الصعاب وكلفة المواجهة عما يهدف إلى تحقيقه . وكان يخلب أذان سامي بحسن عباراته وجزالة ألفاظه وسلامه منطقه وقوة حجته فقد كان شاعراً وخطيباً ومحاجاً وبذلك يكون قد جمع بين أهم وسائل الاتصال البليغة التأثير على الجماهير ومخاطبتهم .

في الجملة المادي كان شخصية قيادية من الدرجة الأولى ومن الرجال العظام الذين يتربون أثراً لهم علي التاريخ ، وهو بما توافر له من السمات الهامة المكونة للشخصية القيادية والعوامل والمؤثرات الاسرية والثقافية التي تعاورت على بناء شخصيته كان لابد أن يكون قائداً لأنه خلق ليكون كذلك لأن القيادة طاقة يمتلك المادي مخزوناً ضخماً منها ، وقدره أن يفرغها وقد تساعده الظروف وقد لا تساعده وفي هذا تفاوت خطوط عظماء التاريخ .

والحادي هو الرعيم الزيدى الذى انتهى إليه حمل المشروع الإصلاحى الذى كان قد بدأه الإمام زيد (ـ122) ويعود الوراث الشرعي للموروث المعرفى لزيد بن علي باعتبار الزيدية حركة اصلاحية دينية مشروعها السياسي يقوم على مبدأ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والمسؤولية الاجتماعية والسياسية وتبني المعارضة السياسية والمسلحة إن لزم الأمر .

وتتناغم شخصية المادي مع خصائص الفكر الزيدى المعرفية والسياسية ، دون ان يعني ذلك انه مجرد حامل سلبي للموروث المعرفى لزيد بن علي فهذا يتنافى مع طبيعة شخصيته الخلاقة فما بينهما نشأت علاقة جدلية حصبة فالموروث المعرفى للزيدية أسهم بدرجه أساسيه في التكوين المعرفى للهادى والحادي بدوره أثرى هذا الموروث بالتراث المعرفى لعصره وأضفى عليه طابعاً من شخصيته ومن هنا منشأ الخطأ الذي وقع فيه فريق من الباحثين في نظرتهم للهادى كمؤسس لفرقه متميزة داخل الزيدية وهو خطأ جر إليه سوء فهم لطبيعة الفكر الزيدى وطبيعة ادوار الزعامات

<sup>1</sup>-عبد الله عبدالوهاب الشماعي، اليمـن، الإنسان والحضارة، طـ3، منشورات المدينة (1985).

الروحية والسياسية المتعاقبة على قياده المذهب الريدي وهاوش المركبة المسوحة لها مزاولته في إطار المذهب الريدي

وكانت الظروف السياسية والاجتماعية التي يمر بها العالم الإسلامي على نهايات القرن الثالث الهجري والمتمثلة في تبدي ملامح الضعف على أخلف العباسية وضعف سلطتها المركزية وتزايد نفوذ الأتراك واستئثارهم بالسلطة دون الخلفاء وتفشي الفساد في أجهزة السلطة وكثرة الاتفاضات المناهضة للدولة العباسية والخارجين عليها والذمر في صفوف الجماهير تدفع بالهادي إلى التفكير الجدي في استثمار هذه الظروف لبدء التحرك السياسي ووضع خططه العملية لحركته الإصلاحية والتي تطمح إن ساعدتها الظروف إلى منازلة أخلف العباسية في بغداد وقد أشار الهادي إلى أهمية اغتنام هذه الظروف في رسالته إلى بعض أهله في الحجاز يؤنبهم فيها على خمولهم وسلبيتهم في التفاعل مع حركته.

وبالفعل بدا الهادي في وضع خططه موضع التنفيذ واختار التوجه جنوبا نحو اليمن وذكر المصادر التاريخية أن الهادي تردد في البداية في التوجه إلى اليمن وتردداته كان على أساس أن اليمن ليس المكان المفضل لديه، لأنه من الطبيعي أن يفكر إيه زعيم مؤسس أو صاحب دعوه جديدة أن يكون اختياره لمقر دعوته مبنيا على استقراء سليم للمناطق وال اختيار من بينها أكثرها مناسبة التي تساعده على تحقيق أهداف دعوته وتشكل الحامل الاجتماعي الجيد لها والعصبية التي تقدم له الحماية اللازمة . وكان الإمام قد قام بجولات استطلاعية لبعض البلدان كما مر وقد عبر عن خبيه أمله في اليمن بعد الرحلة الاستطلاعية الأولى إلى اليمن عام 280هـ، فعلى الرغم من انهم قدموه له فروض الولاء والطاعة لم يجبوا تمكّنه بالشريعة والقرآن، تذكر بعض المصادر أن الهادي أراد تنفيذ الحكم الشرعي بحق رجل من آل طريف من أقارب أبي العتاهية بلغه انه شرب الخمر فمانع القوم فاستاء الهادي لذلك وقرر العودة إلى الحجاز وهو يقول لا أكون كالصبح يضيء لغيره ويحرق نفسه .

ومع معاودة الوفود اليمنية المطالبة للمرة الثانية بقدومه فكر الهادي بصرفهم لما بدا له كما يقول من قلة رغبتهم في الحق الا انه في النهاية عدل عن راييه ووافق على الذهاب إلى اليمن بعد تردد فيما هي الاسباب التي حملته على العدول عن التوجه إلى اليمن ؟

القاسم المشترك بين الروايات التي يوردها المؤرخون ان ضغط الوفود اليمنيه الى الحجاز ومراسلات عدد من الزعماء المحليين والعشائريين التي تطالب بقدومه وتعهداتهم بالالتزام وحسن السيره والسلوك وتوسلهم بعمومته وبابيه لإقناعه بالعدول عن رأيه والتوجه معهم الى اليمن هي السبب المباشر في إقناع الهادي<sup>1</sup>.

فالحروب الأهلية قد أهلكت العشائر المتصارعة واسترفت مواردهم الاقتصادية وكانوا بمحاجة ماسه الى الاستقرار والتقاط الأنفاس ولو لفترات متقطعة وقصيرة

ومن ناحية سياسية هنالك فراغ سياسي نتيجة لغياب السلطة المركزية إضافة الى أن بعد اليمن عن بغداد عاصمة الدولة العباسية ووعورة تضاريس اليمن فضلا عن تدهور أوضاع الأخلاف العباسية التي كانت تغري الطامحين والمناوئين التقليديين للسلطان العباسي من أصحاب العوائد الثورية على التمرد على الدولة المركزية وباعتقادي ان الهادي لم يكن أمامه خيارات كثيرة فالمواطن التقليدي للتتشيع في العراق وخراسان تجعله في متناول العباسين وطيرستان جنوب بحر الخزر كان يشغلها الداعي حسن مع انه اقل كفاءة وأهلية من الهادي والهجاز كانت قد اعتزلت السياسة منذ وقت مبكر وكانت آخر مشاركة لها مع النفس الزركية وكانت هذه أسباب كافية لإقناع الهادي لأن الفقه السياسي الزيدي وان كان يشرط للثورة وجود التسهيلات الالزمة التي تجعل فكره نجاح الثورة احتمالا راجحا حتى لا تكون مغامرة غير محسوبة ولا يشترط تأكيد النجاح بقينا، وعند توفر الحد المقبول من التسهيلات يصبح التحرك السياسي أمرا متحتما ولا يؤثر وجود بعض العوائق والصعوبات إمام فرص النجاح مادامت في الحدود المقبولة يعني اخر الال تكون فرص الفشل أكثر من فرص النجاح وهذا سبب اضافي يدفع بالهادي الى غمار السياسه

ويذهب جمله من الباحثين المعاصرین إلى اختزال بواحد الدور السياسي للهادي واهل البيت عموما في السعي الدعوي لاستعادة الحق العائلي المقدس لهم في السياسة وان الباعث الأساس من وراء الثورات المتتابعة للثوار العلوين هو الشعور بحرمانهم من حقهم السياسي واكثر من هذا يفترض احد الباحثين من أبناء السلطة وبهرجهما باعثا حصريا لتوجه الهادي الى اليمن<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> حسن حضربي احمد، قيام الدولة الزيدية في اليمن 297-280، مكتبة مدبوبي (1996)، ص 62-122.

<sup>2</sup> احمد عطا الله عارف، مقدمة في دراسة الاتجاهات التكربية والسياسية في اليمن، ط 1، المؤسسة الجامعية للنشر، بيروت (1991).

وهي مجازفة غير موفقة فمع الإقرار بان نظرية الإمامة السياسية تتضمن الاعتقاد بالأولوية السياسية لأهل البيت ( من المعروف أن اشتراط وضعا عائليا في السياسية كان هو السائد على المناخ السياسي والاجتماعي والديني لذلك العصر ) وان هذا العامل النفسي من بين أسباب النشاط السياسي للثوار العلوين إلا انه لم يكن جوهريا في حركتهم فضلا عن ان يكون الحرك الرئيس أو الوحدة للثورات الزيدية ضد النظام القائم في الشام ثم في بغداد لاحقا يدل على ذلك جملة أمور .

منها ان الاعتقاد بالحق العائلي موجود لدى اكبر فصيل شيعي وهم الاثنا عشرية مثلما هو عند الزيدية وعلى نحو أكثر تطرفا ومع وجوده لم يؤثر عندهم ممارسة أي نشاط سياسي الى قيام الثورة الإيرانية 1979م وفضلت قياداته الروحية العزلة السياسية وإثار السلامه وقصرت نشاطها على الأدوار الهامشية الاجتماعية والتربوية فلو كان هذا الاعتقاد ومشاعر الحرمان هي المحركة فلماذا لم تمارس مفعولها مع هؤلاء؟ وكيف كانت تدفع هؤلاء إلى غمار الحياة السياسية ومواجهة الموت في شجاعة منقطعة النظير وتقدم قوافل الشهداء، وتبطل كل مفاعيلها السحرية عنداوئك

ألا يعني ذلك أن أمرا وراءه يمتاز به احد الفصلين هو الباعث على هذا الإصرار السياسي؟ وإذا فتشنا عن أهم ما يميز بين الفصلين لوحدهما في تصور كل فصيل لتطبيقات مبدأ الأمر بالمعروض والنهي عن المنكر والأبعاد الاجتماعية والسياسية لهذا المبدأ وفقا للنظرية الزيدية ونظرتها إلى الحياة العامة بكل مظاهرها على أنها شأننا عاما يهم كل أفراد المجتمع المسلم ويدخل ضمن دائرة مسؤوليات المؤمن واهتماماته الشخصية الدينية، وتعاظم المسؤولية أكثر بالنسبة لرجال الدين والقيادات الروحية ففرض على المؤهل علميا وأخلاقيا خاصة الـ النبي (ص) أن يكون ايجابيا في التعاطي مع الشأن العام السياسي والاقتصادي والاجتماعي والفكري، والمادي كان محصلة لهذا الفكر في سلوكه وتفكيره ، و الشخص المؤهل نفسيا وعلميا وأخلاقيا وفسيولوجيا للقيام بهذا الدور ولذلك من الطبيعي أن يتطلع المادي للعب دور سياسي كجزء من المسؤولية كما يرها قال المادي " والله الذي لا إله إلا هو وحق محمد ما طلب هذا الأمر اختيارا ولا خرجت إلا اضطرارا لقيام الحجة" ، ومثل هذه العبارة بعدها تكرر على لسان أكثر قائد زيدي وليس هناك مبرر منطقى لاستبعاد الدافع الدينى وراء الحركة السياسية للمعارضة الشيعية - سواء كانوا مصيّبين في نظرهم تلك أم مخطئين - وتصوير أفراد هذا البيت العلوي على أنهم جماعة من المهووسين بالسلطة وان الموس بالسلطة هو الذي جعلهم لا يستطيعون العيش إلا في السياسية و

بما ومعها ، فالعامل الديني يعتبر من بين أهم القوى المحرّكة للتاريخ، يذكر المؤرخ المصري جرجي زيدان أن ما يميز ممارسة العلوين للسياسة عن خصوصهم الأمويين والعباسيين هو "صدق تدينهم"

ثانياً: لا تلتفت هذه التفسيرات إلى اثر التحولات الاجتماعية والسياسية وهي تفسيرات لا تصح الا في حالة ما اذا كان الوضع الاسلامي العام المرافق للمعارضة المسلحة لا يتحمل اي مبرر او عوامل سياسية او دينية او اجتماعية او اقتصادية غير هذا العامل النفسي . والقراءة العملية والمحايدة لتطور الاحداث والمتغيرات في الخيط الاجتماعي الاسلامي توضح ان التحولات المتتابعة والمتتسارعة على جميع الصعد منذ نهاية النصف الاول من القرن الاول المجري تفرض وضعا ثوريا، فعلى المنظوريين القريب والبعيد يرصد الرئيس الإيراني السابق خامنئي بعض أهم مظاهر التحول السياسي والاجتماعي، في تعمق أزمة الشرعية السياسية وزيادة الاعتماد على القوة العسكرية والقمع الوحشي للمعارضين ومارسه الإرهاب بحقهم وتفشى الفساد في الأجهزة الحكومية والمساوي الاجتماعية والتدهور القيمي واحتدام الخلافات السياسية والكلامية التي صار الدين محورا لها، و الشك في شرعية النظام السياسي اخذ يمتد الى الدين الذي يدعى النظام تمثيله ظهرت الزندقة والشعوبية، و إفراج البيعة من مفهومها السياسي والقانوني كعقد اجتماعي بين الحاكم والمحكوم بموجبه يتلزم كل طرف للآخر بجموعه من الحقوق والواجبات الى التزام من طرف واحد (الامة) بالطاعة المطلقة<sup>1</sup>

وأقصى المجتمع عن حقه في المشاركة والمسائلة وتعززت السلبية السياسية والإنسان ليس أكثر من قن عند الحاكم له أن يتصرف فيه كيف يشاء، وفي العصر الأموي فقدت مكة والمدينة أهميتها السياسية وتحولتا إلى مدبيتين غنائمتين واكتظتا بالمغنين والغنيمات وما صاحب ذلك من المحون والفساد ولوازم الدين" واجتمع في زمن واحد من مشهوري الغناء جميلة وهيت وطويس والدلال وبرد الفؤاد ونومة الضحى ورحمة وهة الله ومعبد ومالك وابن عائشة ونافع بن طنبورة وعزّة الميلاد وحباب وسلمة وببلة ولذة العيش وسعيدة والزرقاء وسعيدبن مسحح وابن سريج والغريض وابن محجر<sup>2</sup> وعاشت المدينة ومكة لفن الغناء تسهران كل ليله على أوتار العيدان والطنابير والآلات الموسيقية من كل لون وفيها الغزل الصريح والفاحش.

<sup>1</sup> - محمد خامنئي، الدين والفكر في شرك الاستبداد ، ت ماجد الغرباوي ط2، دار الفكر المعاصر -دمشق (2004).

<sup>2</sup> - محمد سعيد العشماوي، الخلاقة الإسلامية ، ط2، سينا للنشر - مصر (1992)، ص 144 .

ويضيف العشماوى "وهكذا في عز الخلافة الاموية وفي ضحى التاريخ الاسلام كان الفسق كثيرا والفحور سافرا يقع في قصور الخلفاء ويحدث بين صفوف المسلمين فكانت الخمر والغناء واللواط والتختن والتشبيب بالنساء وحدث ما لا يمكن ان يحدث في وقتنا الحالى ان تصلى جاريه تمحوره بالمسلمين بدلا من الخليفة وان يجاهر الخلفاء بالفسق والزنادقة والفحور وان يسرع امير المؤمنين في وضع مقصف له فوق الكعبة يلهو ويسكر ويتلوط فيه<sup>1</sup>

### الاهداف السياسية للدعوة الهادي الاصلاحية

حفظت لنا المصادر التاريخية جملة من الوثائق السياسية للهادي (خطب ، عهود سياسية لولاته ، مكاتبات) نستشف من خلالها بعض ملامح مشروعه السياسي والخطوط العامة لفكرة السياسي كالتالى

- 1- اقامه دولة دينيه تأسس على العقيدة وتشتق من التجربة المدينية التي اسسها للنبي (ص) والفكر السياسي للزريدية و تستند في تشريعها على مصادر التشريع الاسلامي فهي دولة أخلاقية تقوم على العدل الاجتماعي و مراعاة مبادئ وأهداف القرآن في اقامه مجتمع عادل موحد .
- 2- تمارس سلطاتها السياسية والدينية على اساس مبدأ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر على جميع الأفراد الخاضعين لسلطتها و تسرى احكامها على الجميع من دون مراعاة للمكانة الاجتماعية والاقتصادية .
- 3- لا يحدد مشروعه بأفق سياسي ولا يقف عند حدود جغرافية ولا يتأطر بأطر قومية او قبليه وانما بالمفهوم التقليدي للدولة الإسلامية حيث يتداخل فيه الامتداد الديني مع الامتداد السياسي والرابطه الدينية هي التي تحكم العلاقات الاجتماعية بين افرادها ومفهوم الامة لا القبليه الإطار السياسي والثقافي لها .

- 4- المفهوم القانوني للبيعه عباره عن عقد اجتماعي بين طرفين (الحاكم - والامه) يتم بموجبه تبادل الالتزامات والحقوق بين الطرفين وفي خطابه لأهل اليمن اشترط الهادي لهم على نفسه اربع خصال ان يحكم في الكتاب والسنّة وان يؤثرهم على نفسه فلا يتفضل عليهم بشئ من المال وان

<sup>1</sup>- نفس المصدر .

يتقدمهم عند مقابلة الاعداء وان يقدمهم عند العطاء وفي المقابل يشترط عليهم لنفسة السبع  
والطاعة<sup>1</sup>.

5- حق الامة في مراقبة الحاكم ومحاسبته. ولم يحدث في التاريخ الاسلامي ان بالغ حاكم او او امير او سلطان في التاكيد على حق الامة في محاسبته ومسائلته كما بالغ المادى ومن كلام له في الوثيقه السياسيه لدعوته "فأن خالفت طاعه الله فلا طاعه لي عليكم وان ملت اوعدلت عن كتاب الله وسننه رسوله فلألا حججه لي عليكم"<sup>2</sup>.  
والإحلال بمقتضيات البيعة من قبل الطرف الأول وهو الحاكم محل الطرف الثاني من اي التزام سياسي نحوه وإحلال الطرف الثاني يعطى الاول حق محاسبته.

6- المال العام حق للجميع ولا يجوز لأحد الاستئثار به روي عنه قوله "ما يمنع الفقراء معنا إذا لم نستأثر بشيء من الأموال دونهم"

ومهما تكن البواعث ففي النهاية المادى اختار التوجه لليمن وفي صفر(هـ284) وصل إلى صعدة وقد امضى فيها أربعة أشهر عمل إثنائها .على قدميه الأوضاع والإصلاح بين القبائل المتنازعة واستطاع المادى أن يتسع أفقياً وان يمد نفوذه شمالاً باتجاه بحران وجنوباً باتجاه حيوان وصنعاء وذمار وصولاً إلى عدن واستطاع المادى أن يتربع صناعه من اسعد بن يعفر وفي غضون اربع سنوات اتسعت رقعة دولته "وأصبحت من بحران شمالاً إلى عدن جنوباً"<sup>3</sup>

غير أن هذا التوسيع كان أفقياً وعلى السطح ولأسباب موقوتة ستناقشها لاحقاً لذلك سرعان ما قامت حركات تمرد وأعمال تخريب في معظم المناطق التي دخلت في طاعته وخلال الفترة التي أمضاها المادى في اليمن منذ (284هـ) إلى وفاته(298هـ) قضى معظمها على ظهر جوداه في مواجهه التمردات القبلية التي تحركها الزعامات المحلية والعشائرية وفي تقييم التجربة السياسية للهادى يمكن القول انه نجح في تحقيق الأمور التالية : 1- التأسيس لدوله زيدية تعتبر الدولة الإسلامية العربية الوحيدة التي واصلت حكمها وحافظت على كيانها أكثر من الف سنة 2- مكافحة

1- على بن محمد العلوي، سيرة المادى، تحقيق سهيل زكار ، ط2 دار الفكر -لبنان(1981)، ص 48.

2- نفس المصدر، ص 49.

3- حسين خضربي، مصدر سابق، ص 91.

العصبية الجاهلية بين القبائل المتصارعة حتى دانت له الرقاب ويعتبر المستشرق البريطاني ر.ب. سيرجنت<sup>1</sup> ان حضور الائمة الزبيود كان يعني من المحتمل بداية الاسلام للشمال.<sup>1</sup> 3-من القرن التاسع الميلادي أصبحت مدينة صعدة اليمنية من عواصم الثقافة وذلك منذ أقام الهادى فيها وأسس فيها للمذهب الزيدي ومهمما عجز الهادى عن توسيع رقعة دولته على اليمن فان عاصمته صعدة لم تعجز عن التأسيس الثقافي ولعدد من المدارس الفكرية والفقهية<sup>2</sup>.

4-وضع حداً للفوضى السياسية التي كان يعيشها اليمن وان لم ينجح في القضاء عليها . وكما ترى فهي على أهميتها تبدوا متواضع مقارنة بأهداف المشروع السياسي للهادى ومقارنه بؤهارات شخصيته المادية والمعنوية وجهوده التي كانت تكفى لأقامه إمبراطوريه متراوحة الأطراف وهذه هي القضية المحورية لهذه المقاربة بالوقوف على العوامل والأسباب التي أعاقت جهود الهادى وعرقلت مساعي حركته الإصلاحية ..

-الظروف الموضوعية للمجتمع اليمني ومدى قدرتها على تحقيق المشروع الاصلاحي للهادى-

#### اولا: السمات الاساسية للمجتمع القبلي

تضفاوت المجتمعات فيما بينها في ظروفها السياسية والاقتصادية ومستواها الحضاري وتركيتها الاجتماعية وتوزيع القوه والسلطه بين قواها الاجتماعية والمحددات الاساسية ل مكانه افرادها الاجتماعيه والترتيب لفئاته المهنيه وتصنيف المجتمعات الانسانية لعده اصناف او مراحل لكل صنف او مرحله طابعه الخاص وتختلف النظريات الاجتماعية في نظرها لخدمات البنية التحتية لانماط البناءات الفوقية و في تقديرها لادوار كل محدد (سياسي، اقتصادي ، ديني، معرفي) في تشكيل وبلورة الاوضاع الاجتماعية .

والمجتمع القبلي يعد احد اشكال المجتمع البدائي يقوم تنظيمه الاجتماعي على القبيلة كوحدة سياسية واجتماعية واقتصادية وتعرف القبيلة "بأنما نسق من التنظيم الاجتماعي

<sup>1</sup> - ورقة بعنوان الزبيود ل ر.ب. سيرجنت منشورة على موقع مركز التراث والبحوث اليمني . <http://yemenhrc.com/articles.aspx>

<sup>2</sup> - عبدالله الردوني، اليمن الجمهوري (2006)، ط 6.

يتضمن عده جماعات محلية مثل القرى والبلدات والعشائر وتغطى القبيله عادة اقليما معين وينتاجها شعور قوى بالتضامن والوحدة تستند الى مجموعه من العوامل الاوليه<sup>1</sup>

ويلخص مسعود ضاهر ابرز سمات المجتمع القبلي كالتالي :

-العصبية وروح الجماعة المتماسكة

-التكافف والتضامن في السراء والضراء

-الانساب الى جذر عرقي واحد

-التفاهم بلغة او لهجة واحدة

-احترام عادت وتقاليد واحدة ومتوارثة

-التزاوج الداخلي القائم على افضليه الزواج من بنت العم والادعاء بوحدة الدم

-توزيع العمل وحصص الانتاج بالتراثي

-تحديد دقيق للهرم التراتبي السلطوي داخل التجمع القبلي واعتراف الجميع به تحت

طائلة العقاب

-الولاء للقبيلة دون سواها

-اقتصاد الكفاف اليومي او السنوي او انعدام التخطيط البعيد المدى

-فقدان المدن ومرافق الانتاج الكبرى الثابتة

-الشعور بالفردية وحب الذات في العلاقة بين افراد القبيلة

-السلطة السياسية للمشايخ محترمة شرط محافظتها على الشورى ضمن الاعراف

القبيلية المتوارثة

<sup>1</sup> - محمد نجيب بوطالب، سوسيلوجيا القبيلة في المغرب العربي ، ط ١، مركز دراسات الوحدة العربية-بيروت(2002)، ص 55 .

الاعتراف بسيطرة الذكر كعضو فاعل والنظرية الدونية للمرأة

ـ حدود سيطرة القبيلة مبهمة لأنها غير مستقرة

ـ اقتصار الثقافة البدوية على مجموعة العادات والتقاليد المتوارثة وانعدام الثقافة

<sup>1</sup>"المكتوبة"

ووعلى عكس ما هو شائع عن اخلاق المجتمعات البدوية يؤكد مسعود ظاهر ان الفردية هي اهم سمات السلوك البدوي ومثله المستشرق الغربي بروكلمان في اعتقاده ان "البدوي" كان فردي التزعم مفرط الانانية قبل كل شيء ولا تزال بعض الاحاديث تسمح للعربي الداخل في الاسلام ان يقول في دعاءه اللهم ارحمني و محمد ولا ترحم معنا احدا<sup>2</sup>"

وكلام بروكلمان لا يخلو من المبالغة وقد يصدق على القبائل التي لم تتطلّف اخلاقها بالاسلام او المغرقة في البدوية لان المجتمعات القبلية فيها مستويات كالبدو الرحيل التي لا تعرف حياة الاستقرار وتعتمد على الرعي وتربية الحيوانات والغزو وهي تختلف الى حد ما عن القبائل المستقرة التي تعتمد على الزراعة، وبعض المجتمعات القبلية تطورت فيها التجارة وشهدت بعض مظاهر الحياة المدنية كمكة في الجاهلية واليمن على عهد الملك القديمة المعينة والسبئية والحميرية .

والولاء السياسي في المجتمع القبلي يكون للقبيلة وليس للسلطة المركزية و العصبية هي مصدر القوة والتضامن السياسي للقبيلة ويعرف الجابری العصبية "بأنها رابطه اجتماعيه شعوريه ولا شعوريه معا تربط افراد وجامعة ما علاقه قائمه على القرابه والنسب عما يكون هناك خطر يتهدد اولئك الافراد"<sup>3</sup>

1 - مسعود ظاهر، المشرق العربي المعاصر من البداوة الى الدولة الحديثة ط 1، معهد الاغماء العربي، بيروت (1986)، ص 36.

2 - كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب العربية تبيه امين فارس ومتير العلuki ط 5، دار العلم للملائين - بيروت (1973)، ص 18 .

3 - محمد عابد الجابري، معلم نظرية حلدونية في التاريخ الاسلامي ، مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت (1994)، ص 168.

ورابطة النسب في المجتمع القبلي هي رابطة وهمية وليس حقيقة رغم أن "ابن خلدون" اعتبر أن النسب هو أساس أية عصبية، فإن النسب عنده مجرد أمر وهمي لا حقيقي فاختلاط الانساب هو الظاهرة السائدة إلا أن حاجة البدو إلى آلية قوية ومستمرة للدفاع المشترك هي ما يفسر لجوء البدو إلى النسب واحتماؤهم بالجنيوالوجيا كإيديولوجيا لصياغة وإعادة صياغة النظام الاجتماعي وتدعيم لحمة الجماعة وتعاضدها<sup>1</sup>.

وتحدد مكانه الفرد والعلاقات الاجتماعية بين افراد القبيله وحقوقهم السياسيه والاجتماعيه وفقاً لـ

لعوامل عسكرية باعتبار الطابع الحربي للقبيله فالبدوي انسان محارب كما تقول الدراسات الاجتماعية اضافة الى العامل الاقتصادي

وتفرض العصبيه وايدلوجيه التضامن القبلي التداخل في المسؤوليه القانونية الجماعية والفردية على قاعدة انصار اخاك ظالما او مظلوما حيث العائلة والعشيرة وليس الفرد هي وحدة التعامل .

ويرتبط هذا بالظروف الاقتصادية القاسية للمجتمع القبلي فهو اقتصاد يقوم على الكفاف والاستغلال البدائي للطبيعة او للارض ومعرض لكثير من الازمات وخاضع للتقلبات المناخية في كثير من الاحيان للارض ولا يسمح بقيام وضع طبقي بمفهوم الماديه التاريخية.

### ثانياً :تطور الاوضاع الاجتماعية والسياسية في اليمن الى قديم المادي :

المجتمع اليمني تاريخيا مجتمع قبلي تعتبر القبيلة فيه هي المكون الرئيسي وأكثر العناصر الاجتماعية والسياسية فاعلية فيه ومع ان اليمن من بين كل القوميات في الجزيره العربيه قامت فيه مملكه قوية وازدهرت فيه حياة مدنية وحضاريه راقيه لازالت معالمها قائمه حتى الان تشهد على المستوى الحضارى والرفاوه الاقتصادى وامتداد نفوذها السياسي . وقد شهدت اوج ازدهارها فى عهد الدولة السبعية التي تعد اهم الممالك اليمنية القديمة التي امتد نفوذها من الجنوب العربي الى شمال الجزيره العربيه .

ساعدها في ذلك تراكم الفائض الاقتصادي الناتج عن تطور القطاع الزراعي والتجاري الذي لعب دوراً كبيراً في الازدهار الحضاري والتطور في الحياة المدنية وفي قيام دولة مركبة قوية وحدت اليمن سياسياً تحت سلطتها فاليمين في هذا التاريخ همزة وصل بين الشرق والغرب فمضيق باب المندب كان بمثابة الشريان الرئيسي للتجارة في العالم القديم، ما هيأ لقوافل سباً ومن قبلها معين إدارة دفة التجارة بين الشرق والغرب، وقد استطاعت هذه الحكومات الحفاظ على مركزها بابقاء البحر الأحمر مغلقاً والتحكم بالموانئ البحرية فيه حيث القوافل اليمنية هي وحدها التي تنقل بضائع الشرق إلى بلدان الغرب والعكس<sup>1</sup>.

وقد أسهם النمو الاقتصادي بشكل كبير في بلورة الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية لكنها لم تستطع تجاوز القبيلة وظل تأثيرها على الطابع القبلي للمجتمع محدوداً واستمرت الروابط القبلية على اشدها وتعيشت جنباً إلى جنب الاستقرارية الاقتصادية والنظام الملكي والنظام القبلي القديم<sup>2</sup>...

والدولة في هذا العصر كانت عبارة عن قبيلة استطاعت بما توافر لها من اسباب القوه المعنوية والمادية ان تفرض نفوذها على بقية القبائل والوحدات الاجتماعية وظمنها الى سلطتها، و حتى تضمن ولاء القبيلة وتتمرير الاجراءات والتشريعات التي تتحذى بها عمدة الدولة الى دمج زعماء القبائل في "تشكيلتها السياسيه" وتقليلهم مناصب سامية وتفويضهم في ادارة الاقاليم التابعة لهم وجمع الضرائب<sup>3</sup>...

وفي القرن الأول الميلادي فقدت اليمن مصدراً هاماً من مصادر تراكم الفائض الاقتصادي عندما اهتم البحار اليوناني "هيبيالوس" إلى معرفة اتجاه الريح الموسمية وما كان لذلك الاكتشاف من اثر في تحويل طريق التجارة البحرية حيث اخذت السفن الهندية وغيرها تغير المحيط الهندي إلى الهند رأساً "الشرق الادن"<sup>4</sup>

1- احمد شرف الدين اليمن عبر التاريخ دراسة جغرافية تاريخية سياسية شاملة (1964)، ط2، ص 136.

2- توفيق المدين المجتمع المدني والدولة السياسية في الوطن العربي/منشورات اتحاد الكتاب العرب، (1997)، ص 295.

3- المصدر السابق، ص 306.

4- شرف الدين مصدر سابق، ص 137.

وحدث ثان لعب دورا في فقدان اليمن لحيوكما السياسية والاقتصادية هو انكسار السيد المعروف بسيل العرم ما دفع باعداد كبيرة الى المجره الى الشمال والحدث الثالث الاحتلال الخارجي من قبل الاحباش لليمن ثم من بعدهم الفرس وقبيل ظهور الاسلام كانت اليمن قد فقدت امنها واستقرارها واستقلالها.

وشكل بزوغ فجر الاسلام ايذانا بعصر جديد ومنعطفا عقديا وسياسيا في تاريخ العرب والعالم وثورة شاملة على الاوضاع القائمة السياسية والدينية والاجتماعية القائمة في المجتمع العربي، فالدعوة الاسلامية في مظهرها العقدى والسياسي والاجتماعي تعد نفيا للنظام القبلي القائم على الاعتصاب للقبيله وبخوازا للقبيله وكانت مساعي النبي (ص) تابي لتفكيك النظام الاجتماعي القديم واعادة بناء المجتمع على اساس مفهوم الامة البديل السياسي والثقافي للقبيله وفي سبيل ذلك عمل محمد (ص) الى مجموعة من الاجراءات احدثت نقلة نوعية في تركيبة المجتمع المديني وهذا التطور الذى حدث لمجتمع المدينة لم يحدث وبنفس المستوى للمجتمعات التي كانت اسلامت اسلاما سياسيا او اعلنت انظمامها الى دولة الرسول (ص) وكان البدو والاعراب بعد ما يكونوا عن الاسلام سواء في العقيده او في الثقافة "ولذلك استمر القانون القبلي في اوساطهم رغم انتمائهم للإسلام<sup>1</sup>..." ، وبالرغم من ذلك فالقبيله لم تزل كل روابتها من النقوس وعقب وفات الرسول كانت بعض الصراعات والخصومات السياسية تعكس اصطفافا قبليا وان في حدود ومنذ تولى معاويه الحكم (40هـ) عمل على اعاده بناء القبile و كان انتصار الاخير على "انتصارا للقبيله و ثقافتها على العقيده و ثقافتها<sup>2</sup>" .

وبخصوص اليمن فان القبائل اليمنية بدا من العام (628هـ) اخذت في الانضمام الى الإسلام وإرسال مبعوثها الى المدينة مقابلة النبي (ص) وظل انتشار الإسلام في اليمن محدودا الى جيء على بن ابي طالب مبعوثا للرسول (ص) عام(8) هجري فأسلمت قبائل همدان وتبعتها القبائل الاخرى. ومع ان اليمن اصبحت من ناحية سياسية اماره تتبع نظام الخلافة في المدينة الا انها لم تكن تنظر لليمن باهتمام كبير ومع تحول عاصمة الدولة الاسلامية الى الشام ومن بعدها بغداد اصبحت اليمن مجرد خزان يهد الدولة بالمال والمقاتلين ولذلك لم تشهد اليمن تحولا اجتماعيا وكما

1 - توفيق المديني، مصدر سابق، ص 366.

2 - نفس المصدر، ص 376.

يقول فقد "عجز الاسلام عن تعديل الاحوال الاجتماعية والسياسية تعديلا جوهريا ذلك ان حكام الاستقراريين ظلوا يفرضون سلطتهم على مناطق نفوذهم من غير ان يجدوا معارضة من مثل "الخليفة في صنعاء"<sup>1</sup>

فلم يتاثر النظام القبلي كثيرا بالاسلام وظلت القبيلة اليمنية تحتفظ بوضعها كوحدة سياسية واجتماعية واقتصادية متكاملة ومستقلة وبدورها كلاعب فاعل في كل احداث اليمن السياسية والاقتصادية والاجتماعية في هذا العصر والعصور اللاحقة . وقد استقر التقسيم القبلي -بحسب دراسة المرصد اليمني لحقوق الانسان- مع ظهور الاسلام على اربعه اتحادات قبليه هي حمير ومذحج وكنده وهدان يتكون جمع هдан من قبيلتين كبيرتين حاشد وبكيل و تستوطنان المناطق الشمالية ويكون مذحج من ثلاث قبائل هي عنس ، مراد ، الحدا وتعيش في المناطق الشرقيه من اليمن اما قبائل حمير فقد سكنت المناطق الجبلية الجنوبية والحضاب الوسطى<sup>2</sup> ..."

. وتشير الدراسة الى ان عوامل سياسية واقتصادية في العصور الوسطى والعصر الحديث افرزت توزيعا جديدا للقبائل اليمنية فنضمت مذحج الى بكيل وبعض قبائل حمير الى حاشد فالبنيه القبليه لليمن لا تتحدد بالقرابة فقط وإنما بحددات سياسية واقتصادية ... " وكل اتحاد من هذه الاتحادات يتشكل من وحدات اجتماعية اصغر تحالف حينا و حينا تتحارب ببعضها لضرورات ومصالح مؤقتة ومتبدلة باستمرار .

ولحظة قدوم المهدى كانت اليمن تعان اوضاعا سياسية واجتماعية شاذة ومضطربة تتنازعها فيما بينها عدت دوليات واقطاعيات متصارعة مع فراغ سياسي في المناطق الشمالية والصراعات والمحروب القبلي لم تكن لتنتهي تخرج من حرب لتدخل في اخرى، وتنهى قوى المجتمع وتستشرف موارده في حروب عبيبة . و التمزق الاجتماعي التي كانت تعيشها اليمن هي افرازا لعوامل سياسية واجتماعية ودينية وجغرافية، فمن ناحية سياسية كان ضعف السلطة المركزية للعباسيين والانتفاضات المتكررة في

1- بوكلمان ، مصدر سابق، ص 226

2- مجموعة من الباحثين، القصر والديوان الدور السياسي للقبيلة في اليمن، المرصد اليمني لحقوق الانسان -صنعاء (2009)، ص

17

3- نفس المصدر، ص 15.

العراق والكوفة والبحرين وفساد الولاة وإرهاب الفلاحين والمزارعين تغري بالانتفاضة على السلطة المركبة، وكان بعد اليمن عن مقر الخلافة يزيد من رصيده ويجعل افلاهه من الطامعين والمعارضين السياسيين واصحاب الدعوات الاصلاحية تقوى عليه، اضافة الى انصراف السلطات المركزية في دمشق ومن بعدها بغداد الى الاقطار التي تم فتحها في الشام وببلاد فارس ومصر والتي تمتاز بثرائها مقارنة بالعائدات الشحيحة التي توفرها اليمن للخزينة العامة، ورغم ان الترعة الاستقلالية قد بدأت ارهاصاتها في عهد الدولة الاموية الا ان قصر عمرها حال دون تكامل اسباب الانفصال واجلها الى عهد الدولة العباسية<sup>1</sup>.

والدول المتنافسة على الحكم في اليمن في هذه الفترة هي الدولة الزيادية (402-205) في قمامة، والدولة اليعفورية (393-225) في شمام وكبان، والدولة الاسماعيلية في عدن لاعه اضافة لبعض الزعامات العشائرية والاقطاعية كالداعم بيكل والاكيلىين بخلاف والطريف والضحاك وآخرون.

كانت هذه هي معطيات الواقع السياسي اليمني وعلى المستوى الاسلامي الدولة المركزي "المستقرة" بلغة ابن خلدون في بغداد وان كانت قد دخلت مرحلت المرم وهذا يعطي فرصة للنجاح ويشكل عاملا ربما يساعد المادى على تحقيق اهدافه لكن ليس الى حدود بعيدة فمظاهر الضعف للدولة العباسية كانت لا زالت في بدايتها ولم تكن الدولة قد اخذت "ماخذها من المرم" والعجز التام عن المسير وتجهيز قوة عسكرية الى اليمن فهي وان تأخرت في ارسالها الى (290هـ) نظرا لاحتياتها لقمع الانتفاضات التي قامت في بلاد الشام والعراق فان المستكفي العباسي جهز احد رجاله المعروف (مجفتم) على راس قوه الى اليمن لمواجهة المادى الا انه بدلا من المواجهة مع المادى اصطدم بالامير اليعمري اسعد بن يعفر<sup>2</sup>.

والايحائية في بعد اليمن عن مركز الخلافة يتقص منها ان وقوع اليمن في اطراف البلاد الاسلامية يقلل من فرص قيام دولة كبيرة يمتد نفوذها الى اغلب بلدان العالم الاسلامي او الجزر الاكبر منها فموقع اليمن في جغرافية العالم الاسلامي لا يوفر امكانية لاكثر من قيام امارة قطرية

1 - سيف الدين القصمر، ابن حوشب والحركة الفاطمية في اليمن، دار البيانات - دمشق (1993)، ص 18.

2 - حسين خضربي، مصدر سابق، ص 99.

مع ما يتطلبه ذلك من توفر شروط اقتصاديه وعسكريه وتسهيلات اجتماعيه لا توفرها اليمن واذا كان بامكان المادى الاستفادة من حالة التذمر السياسي وال الحاجه الى الاستقرار والتقطاف الانفاس لل المجتمع المنهك من الحروب الاهليه ومن الفراغ السياسي الموجود خاصة في صعدة والمناطق المخواورة في استقطاب الانصار لكن كما هو واضح لم يكن المادى الشخصية السياسية الوحيدة المتواجدة على الساحة اليمنية فهناك من كان قد سبقه اليها من اصحاب الدعوات الدينية والتطبعات السياسية كال زياد وال يعفر وال طريف وعلى بن الفضل وابن حوشب وزعامات عشائرية محلية .

والمادى وان كان يمالء من جاذبية دينية و سياسية ومكانة علمية و مؤهلات قيادية تفوق مالدى منافسيه و يجعله الاوفر حضا بينهم الا ان وجودها سيعيقه من تحقيق اهدافه الطموحة واحتمال تجاوها مرهون بالشروط الاجتماعية والاقتصادية الجيدة التي توفرها له اليمن والتي تمكّن من خلق وحده سياسية سهلة من رحم هذه الفوضى والاضطراب تشكل قاعده ينطلق منها الى الوحدات السياسية الاخري وصولا الى عاصمه الدوله التي يعتبر ابن خلدون ان سقوطها سقوط جميع الاطراف

### ثالثا انعكاسات الاوضاع السياسية والاجتماعية على تجربة المادى السياسية

#### 1- القبيلة ودولة المادى وجهها لوجه (مقاومة السلطة المركزية)

سبق ان المادى صاحب مشروع اصلاحي وان مشروعه السياسي مشتق من الفكر السياسي الريديه ومن التجربه السياسيه للنبي محمد (ص) ويسعى لاقامه دولة تتحدد ثقافيا وسياسيا بمفهوم "الامة" ولذلك اول عمل دشنها المادى هو الاصلاح بين قبيلتي سعد والريعة في صعدة واناء حرب طاحنة استمرت لزمن بينهما والمؤاخاة بين الفئات المقاتلة تيمنا بعمليه المؤاخاه بين الانصار والمهاجرين التي افتح بها الرسول اعمال دعوته<sup>1</sup>.

<sup>1</sup>- العلوي، مصدر سابق. ص 41 .

ولحظة دخول المادى اليمنى كان لفيفا من القبائل تعيش حريا اهليه لا تتوقف فيما بينها وكانت الدعوه الاصلاحيه والمشروع السياسي للهادى تشكل تجاوزا للنظام القبلى القائم والسلطة الاجتماعية للزعamas العشائرية و القبيله التي تقوم على اساس الوعي العصبي

ومن الطبيعي ان تصطدم دعوه المادى مع طبيعة النظام القبلى في اليمن و تعارض اهدافها في اقامة دولة مركزيه يطمح المادى ان يمتد نفوذها الى خارج اليمن ، "لان سلطه المركزيه هي النقض التارخي للسلطه القبلية وكلاهما يلغى الاخر سياسيا واقتصاديا واجتماعيا<sup>1</sup>" ولان القبيلة هي نظام سياسي ماقبل دولي .

ومع ان المجتمع العربي مجتمع قبلى الا ان اليمن يتميز بوفرة قبائله وكلما كثرة القبائل تضائلت فرص نجاح مشروع الدولة يقول ابن خلدون "ان الاوطان الكثيرة القبائل والعصائب قل ان تستحكم فيها دولة<sup>2</sup>" .

ويستشهد ابن خلدون لذلك بمحظ الدولة الاسلامية عصر الشام وببلاد فارس والعراق لقلة القبائل والعصبيات فشأنها كما يقول ابن خلدون "اما هو سلطان ورعية" بخلاف حظها مع قبائل البربر بافريقيا والمغاربة .

ويعزز طه حسين في دراسته عن ابن خلدون فكرة الاخير بمزيد من الشواهد التي تدل على صدق ملاحظته "فالروماني على حذفهم في الحرب كانوا في حرب دائمة مع شعوب شمال افريقيا والعثمانيون لم يضفروا الا بسلطه اسميه في ساحل البحر المتوسط ، والفرنسيون عانوا المشقات في عجز الرومان والاسلام عن تلطيف سبيل بسط حظارهم في مراكش اخلاق هذه القبائل"<sup>3</sup>

والظروف القبلية في اليمن تقترب الى حد كبير من مناطق القبائل في افريقيا، من حيث كثرة القبائل و مقاومة الدولة المركزية و ليس من طبيعة القبيلة الاستجابة للمشاريع الكبيرة بسهولة

1 - مسعود ظاهر، مصدر سابق، ص 42 .

2 - عبد الرحمن بن خلدون ،القدماء ، دار الفكر - بيروت ، ص 205 .

3 - طه حسين، فلسفة ابن خلدون الاجتماعية ، بت محمد عبدالله عناق - ط 1 مطبعة الاعتماد - مصر (1925) ، ص

وتحتاج لعمليات تكيف وتطويع طويلة المدى تتجزأ على مراحل، وتفكيك للروابط والوشائج القليلة وأحالل روابط مابعد قبليه محلها.

لقد عمل المادى منذ لحظه وصوله على انهاء التراغ الدائم بين القبائل اليمنيه وركز جهوده على انهاء حالة التوتر القائمه في البلاد والتمزق الاجتماعي فاوقف التراغ القائم بين الاكيلين والفاتطمين واصلح بين القبائل المقاتله في نجران وهдан وغيرها من القبائل و كان نجاح المادى في الاصلاح بين القبائل يزيد من شعبيته ورصيده السياسي وحقق تقدما لافتا في صعده ونجران وما حولهما وقد شجعه هذا على المضي قدما في مشروعه السياسي وضم المناطق الاخرى الى لم تكن تبدى مقاومة تذكر او يفتحها فتحا سياسيا فدخل شمام عاصمة اليعفرى بدون قتال ومنها تحرك الى صنعاء التي سلمت له راضية ولم يكن يقيم المادى في اى منطقة يدخلها الا ريثما يرتب اوضاعها ويعالج ما يحتاجها لمعالجة شرعية وقانونية ولذلك لم يتاخر في صنعاء ليتحرك جنوبا الى ذمار التي بايعت المادى وفي غضون اربعة اعوام حقق المادى انجازا سياسيا يعد قياسيا

بالاحظة ظروف اليمن الاجتماعية والاقتصادية واصبحت دولته تضم الجزء الاكبر من السين وعمد من من بحران شمالا الى عدن جنوبا كما جاء في بعض الروايات .

لكن هذا التقدم لم يكتب له الاستمرار بنفس الوتيرة ودارالبندول لغير صالح الامام فكما هي العاد في المجتمع القبلي الولاء والطاعة الذى تقدمه القبيلة يخضع لاعتبارات وقنية وتفرضه مصالح نفعية ولم يكن تحويل الولاء السياسي من حاكم الى اخر يعتبر انتهازية سياسية ولا عملا معينا في الثقافة القبلية .

فلم تجد القبائل التي اعلنت ولائها للهادى اى حرج من الانقلاب عليه وكان تنامي السلطنه المركزيه للدول الهادى يأتي على حساب القبيلة كمؤسسه سياسيه ممثلة في شيوخها وتحت من سلطتهم بقدر ما تظفر به الدوله المركزيه، ذلك ان العلاقة بين الدوله والقبيلة كمؤسسرين تخضع لقانون "المحصلة الصفرية" وفقا لمفهوم س رايت ميلز للسلطه باعتبارها كما ثابتنا تتوزعه القوى السياسيه والاجتماعيه في اي مجتمع واي زيادة في سلطة اي منها تعني الانتهاص من سلطة الاطراف الأخرى<sup>1</sup> ...

<sup>1</sup>-مجموعة من الباحثين، مصدر سابق، ص 44.

وللحفاظ على سلطتها امام زحف القوة السياسية للهادى عمدت الزعامات المحلية الى اعاقه جهود الهادى باثارة الفوضى واعمال الشغب . وتحريض القبائل متسلين بقيم الثقافة القبلية وكانت نجران وصنعاء التي دخلها اربع مرات اكثر المناطق اضطرابا ، كما حصلت تمردات وفوضى في وشحة واثافت وخيانة وفي صعدة وهمدان وكان اول تمرد التمرد الذى قاده ابو دغيش الشهابي في وشحة برفض دفع الزكاة الى عامل الامام وكانت جبائية الواجبات هي احدى الاشكاليات التي واجهت دولة الهادى مع زعماء وشيخ العشائر الذين ينظرون اليها كجزء اختصاصهم وكان هذا عرفا سائدا ترجع اصوله الى عهد الممالك اليمنية القديمة ، فهم من يديرون الاقاليم التابع لهم ويتولون جمع الضرائب . وتاريخيا شكلت القبيلة اليمنية منطقه عازلة بين الدولة وافراد المجتمع فليس للدولة سلطة مباشرة على الافراد فهي بواسطه شيخ القبائل خاصه في القرى والارياف ، وكان هذا العرف التقليدى يتعارض مع اهداف دولة الهادى التي تصر على ان هذه الاشياء تقع ضمن مسؤولياتها ولذلك من الطبيعي ان ينظر هؤلاء الى دولة الهادى بكثير من الحذر والريبه وكمما تؤكد الدراسات السويفوجيه والاشروبوجيه عقليه القبيله شفافيه ثقافيه يغلب على سلوكها السياسي العدائى ويقوم على الثقافة الثاريه ولم تكن اعمال الشغب والتمرد تكلف مترعيمها اعدادت مسبقة نظرا للطابع الحربي للمجتمع القبلى فبحسب دراسة المرصد السيمى "القبائل اليمنيه كانت على استعداد دائم للقتال مع اي كان ضد اي كان<sup>1</sup>" .

خاصه وان مناطق التمرد كانت تعيش حالة فوضى سياسية قبل دخول الهادى نتيجه للفراغ السياسي وكانت هذه العوامل اضافة الى عوامل اخرى ستأتى عليها توسيع المؤة بين الهادى وشيخ القبائل وتطاعف من تعقيدات الواقع السياسي والاجتماعي وقد تبرم الهادى لهذا الوضع المعقد وصرح اكثر من مرة عن ظيقه بهذا الواقع وما وصلت اليه الامور وانه لو لا خوفه على ضياع ما قد انجزه ما اقام في اليمن او كما قال "لولا اني اخاف ضييعه الاسلام لما اقمت باليمن"<sup>2</sup> .

## 2-طبيعة السياسة المبدئية للهادى

<sup>1</sup>- نفس المصدر ص 119.

<sup>2</sup>- حسين خضريري مصدر سابق ص 75 .

يعلل المؤرخ الاجتماعي المصرى جورجى زيدان نجاح العباسين فى سياق السباق على الخلافة مع خصومهم العلوين ان هؤلاء ارادوها دولة تقوم على التقوى والدين فقط معتمدين على صدق تدينهם وشرف نسبهم<sup>1</sup>.

ويرى الاديب العربي عباس العقاد ان اخفاق علي في مقابلة معاوية يرجع الى الضروف الاجتماعية والتحولات السياسية والدينية التي كانت تعمل لصالح السياسة النفعية لملك معاوية ولا تساعد السياسة المتدينة خلافه على وقد ناقش العقاد ما اسماها بالأحكام المرتجلة في تقييم سياسة الإمام علي الميدانية<sup>2</sup>.

ولستنا هنا بصدق تقييم السلوك السياسي لعلي أو المعارضة السياسية الشيعية عموما بقدر ما نهدف الى بيان طبيعة المشروع السياسي للعلويين والشيعة والهادى الرسي كامتداد لهذا التيار الدين والسياسي.

فالمعارضة السياسية الشيعية عرفت في التاريخ الاسلامي باعتبارها تمثل ايديولوجيا المستضعفين والعدالة الاجتماعية وتفصل فكرها السياسي على العقيدة، وتتسم سياسة قيادات البيت العلوي بالبدائية (صدق الدين) في مقابل السياسة المكيافيلية البرجماتيه لخصومهم التارخيين الامويين وال Abbasines.

فعلى بدايه عهده السياسي في ضروف سياسية واجتماعية بالغة التعقيد نصع بعض مستشاري الامام علي باتخاذ بعض التدابير السياسية التكتيكية التي قد تضمن له احرار النصر السياسي الا انه رفض بكل حسم الوسائل المكيافيليه حتى وان كانت النتائج مكلفة ورد عليهم بقوله (أتأموونى ان اطلب النصر بالجور فيما وليت عليه) (ولعل الامام علي فضل ان يعمل بمقتضى الحكمة المنسوبة ليسوع المسيح (ع) "ما الفائدة ان تربع العالم وتخسر نفسك").

وال الفكر السياسي للهادى هو امتداد لهذه المدرسة روى عنه انه كان يقول "ان هى الا سيره علي او النار" وكان يترجم بسلوکة السياسي عقيدته السياسية و مبادئ العقيدة ومقرارات الشريعة واجتهادات الفقهية وفي خطاب له الى اهل اليمن أكد على اهمية التوافق على الاحتکام

1— جرجى زيدان، تاريخ العهدن الاسلامي ، الجلد الثاني، دار مكتبة الحياة، بيروت لبنان ص 400 .

2— عباس العقاد، عبرية الامام علي ، دار الكتاب العربي ، بيروت (1968).

الى تعاليم الدين في الحياة العملية ومكافحة الجريمة والخراف والسلاوي الاجتماعية وعلى تدور سلوك القائم السياسي والاجتماعية والاقتصادية على هذا الأساس او كما جاء في خطبته "ما جائنا من الكتاب اتبعناه وما نهانا عنه اجتنبناه ... والى ان تأمر بالمعروف وننهى عن المنكر نحسن وانstem ونفعله وننهى نحسن وانstem عن المنكر جاهدين وتركه"<sup>1</sup> (40).

وكان يحرص في اختياره لولاته وتعيين القضاة وفي القرارات التي تتخذها دولته على مراعاة هذه المفاسد بحسب ما اتفق عليه من اصحابه جاءوا و كان يصر على اصحابه على الاموال على اسلام اهلها لا توفر مروودا مناسبأ فاقسم انه لو ليراجعه بشأن المقادير التي فرضها على الاموال على اسلام اهلها لا توفر مروودا مناسبA

تطبيق السماء على الارض حتى تختلف ضلوعه ما اخذ غير الحق ابدا وفي روايه يقول "والله لا اصلحكم بفساد نفس" و كان واثقا من احكام سياساته الى الكتاب والسنة للدرجة ان احثلا

ب يستطيع كما جاء في كلامه (بيان انس الفناس حكم الكتاب والسنة) و كان اصراره على التمسك بالشريعة وراء مغادرته اليمن في المرة الاولى ، تروي المصادر الشارعية ان احد وجهاء ال طريف كان متهما بالاخراف صودف محمورا اثناء وصوله الى طرفه

من ثم فاصر المدادي على تأديبه فمانع القوم من بايوه في تسليميه ماتسبب في غضب المدادي ومغادرته اليمن ، وفي عام(285هـ) فكر جديا في مغادرة اليمن ثانية احتطاحا على ما ارتكبه

بنزل بعض الاعيان يسترضه ويسعطفه فلم يقبل حتى ارجعوا جميع ما اخذوه<sup>2</sup>.

التي كان عليها الحيثيات التي يبني عليها موقفه الرأفض يقول "والله ولا ساعه واحدة الا على ما  
الهادى طلب الدعاعم (زعيم قبلى اختلاف مع الهادى في البداية ثم اخحلص له) الولاية على الجهات  
هذا الاساس فهو لا يقصد الى استبعاد هذه الشريحة من المجتمع من حيث المبدأ ، وقد تضمن ورفض  
وتخليص المصالح الذاتية والاتهازية السياسية ، واستبعاد الهادى لبعض الزعامات العشائرية كان على  
دمج هذه الزعامات في التركيبة السياسية الملوه الهادى على ما هم عليه من الترف والانانية  
وتخليص طبيعة سياسة الهادى التوصل بالعلاقات القبلية واستخدام الاساليب الميكافيلية، ولاقبول

48

١٧ - ٢٨٠ - مکتبۃ الائمه الشافعیہ، ص ٣٢٢-٣٣٩

أمره به من الحكم بكتاب الله وسنة رسوله فان أجباب إلى ذلك وأطاع الله وأطاعنا في ما نأمر به واحد الحق من وجب عليه من قريب أو بعيد أو شريف أو دن ولينا وإلا فلا...<sup>1</sup>. موقف المادي من الدعام يعود بالذاكرة إلى موقف الامام علي الرافض لبقاء معاوية في السلطة ولو لأيام أو كما قال "لا والله لا استعمل معاوية ليومين" وكان بعض مستشاريه قد اشاروا انه قد يكون من المفيد تكتيك سياسي الإبقاء على معاوية لبعض الوقت

وقد يختلف الباحثون في الحكم على موقف المادي من القوى القبلية وتفاوت وجهات النظر في مدى واقعية السياسية المبدئية والى اى مدى يجب أن تخضع السياسة للإيديولوجيا ،والحادي الذي يجب أن تكون برجمانية وقد يقال ان من الحنكة السياسية ابقاء هذه الفئة على مواقعها السياسية ...الخ ..وهذا يتطلب بحثا مستقلا ،لكن سنعرض له بشكل اجمالي .

فكمما سبق الطابع العام لسياسة المادي هو "صدق الدين" وخصوصها لاعتبارات إيديولوجيه ومفصلتها السياسة على العقيدة" هذا بحد ذاته يشكل اختراقا للقبيلة" لكن هذا لا يعني انه لا يدخلها قدر من البرجمانية بالملطلق وانتفاء المرونة السياسية عنها فالواقع له شروطه وظروفه التي لا يسمح في كثير من الاحيان بتجاوزها والمادي كان مضطرا في كثير من الأحيان للتعامل مع شروط وظروف الواقع فيدخل في تحالفات ويتخذ بعض الاجراءات التكتيكية

فالسياسة النفعية التي يرفضها المادي هي تلك التي لا تورع عن استخدام أي وسيلة تحقق غايتها على قاعدة الغاية تبرر الوسيلة" والسياسة المبدئية للهادي كما يوحى كلامه في مناسبات مختلفة انه لا يسعى لتحقيق مكاسب سياسية على حساب التضحية بمبادئ السياسة وقناعاته الدينية وحسابات الربح والخسارة لا تقوم على اعتبارات مادية صرفة ،من ذلك ما روي ان المادي كان بحاجة إلى مزيد من الأموال للاحتفاظ بصناعة وكان باستطاعته الاحفاظ بها عن طريق فرض المزيد من الضرائب او بارغام التجار في صناعة على دفع الأموال الازمة . وقد حاول المادي الحصول على قرض إلا إن أهل صناعة خذلوه ففضل الانسحاب و خسر بذلك منطقة من أهم مناطق اليمن حيوية لكنه على المدى البعيد ربح ايضا هل لو تبنى المادي سياسة اقرب الى

<sup>1</sup> - العوى، مصدر سابق ص92.

البرمجاتية مع القوى القبلية كان سيحقق نتائج افضل ؟ قوى سياسية سبقه الهادي وعاصرته جربت ذلك ولم تتحقق افضل مما حققه الهادي .

لقد كان من نتائج سعي الحكماء المسلمين بدا من (40هـ) لإنجاز مكاسب سياسية عاجلة وتحقيق انتصارات انية بالاستعانة بكل الوسائل المشروع منها وغير المشروع أن أنسوا على المدى الطويل هرائم أخلاقية وحضاروية وسياسية تحولت مع الزمن إلى عاهة حضارية مستعصية ولعل هذا هو الجرم الذي عناه احد المؤرخين العرب المعاصرين بقوله ان من ينظر الى الواقع العربي اليوم يخيل اليه ان هذا الشعب ارتكب في الماضي جريمة بحق العالم استحق بها ما هو عليه من العوان والذل والهزيمة والانحطاط .

الهادي ان يسابق الزمن للوصول إلى أهدافه ألطموحه وحاول أن يقهر الواقع القبلي الذي أعاده كثيراً وأرهق نفسه وأتباعه لارغامه على الاستجابة لمشروعه وإنجاز طفرة اجتماعية وسياسية لم يكن اليمن مهيئاً وقد يكون أدرك مؤخراً تعقيدات الوضع الاجتماعي اليمني وقد يكون اخطأ التقديرات لكن لا يعني ذلك ان لاستسلام الكامل لهذا الواقع هو الحل بقدر ما يعني ان اليمن ربما ليست البيئة المناسبة لإنجاز مشروع كبير كالذي رسمه الهادي لنفسه والعمر السياسي لدولته كان اقصر من العمر الزمني المفترض لإحداث تحول ثقافي وسياسي يفضي إلى تجاوز أو تكيف

النظام القبلي

### 3-الأصول والخصائص الاجتماعية للقوى المناوئة للهادي وطبيعة دورها السياسي :

معرفة الأصول الاجتماعية للقوى وال منتخب السياسي المناوئة للهادي يعد مدخلاً يسهم في تفسير الحراك الاجتماعي والسياسي وفي تطورات الأحداث العامة لما تمسكه بيدها من خيوط اللعب السياسية ومن قدرة على التأثير والمساهمة الفاعلة في بلورة الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية.

وبالنسبة لموضوعنا فأن معرفة الأصول الاجتماعية للقوى التي ناوأت الهادي وطبيعة أدوارها السياسية تعد من المفاتيح الأساسية لدراسة وتحليل أحداث العهد السياسي للهادي وفي مجتمع قبلي كالمجتمع اليمني يتميز بكثرة القبائل المتنافسة والمتخاصمة في ما بينها متوقع أن تكون القوى السياسية المناوئة للهادي من أصول اجتماعية قبلية والمصادر التاريخية تؤيد هذا التوقع الافتراضي وعلى الرغم من أن اليمن لحظه وصول الهادي كانت تقاسمها عدة دواليات كما مر الا ان الوضع

في الإقليم الشمالي بنيته القبلية أكثر تماسكاً والدولة اليعفرية في شباب اشبه بامارة قبلية تحكمها برجوازية قبلية ترجع أصولها إلى القبائل الحميرية او هي عبارة عن تحالف قبلي موسع وكانت سلطتها ضعيفة على المناطق التي تحكمها والتي تخضع في الأساس لشيوخها وتعيش حاله من الاضطراب والتراعات الدائمة .

ولهذا الامر اهمية كبيرة على مجريات الاحداث التي رافقت تاسيس الدولة الزيدية وعلى الدولة الزيدية عموماً نظراً إلى الفرق في طبيعة الصراعين ، وذلك لأن الصراع بين الدول المركبة تنظمه قوانين معينة وتحكمة موازين القوى و يتنهى عادة بتغلب أحد الطرفين ويختلف الأمر مع القوى السياسية القبلية نظراً لأن الصراع معها صراع مع البنية الاجتماعية والثقافة القبلية للمجتمع ووتسنمد قوتها السياسية كمامر من العصبية وايديولوجيا التضامن القبلي ولا يتنهى بغلبتها عسكرياً وبقاء تحديها مرهون بمدى تماسك الروابط القبلية والتحولات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي تحدث للمجتمع .

وابرز الشخصيات القبلية المناورة للهادى هي الدعام بن ابراهيم وابنه ارحب والدعم هو كبير ارحب وسيد همدان في عصره، يسكن الجوف ويتزعم قبيلة بكيل، وابو جعفر احمد بن محمد الضحاك شيخ حاشد في عصره والي عفر برئاسة اسعد بن يعفر وال طريف ومنهم ابو زيد الطريفي وجعفر بن صعصعة صاحب ريدة واحمد بن عباد زعيم الاكيلين وهم رؤوس ال ربيعة وقيادات اخرى صغيرة كابن بسطام واي دغيش الشهابي واحمد بن محفوظ وغيرهم.

ويحسب المؤرخ شرف الدين "عدد المعارك التي دارت بين الهادى والي عفر وال الضحاك وال طريف والاكيلين فاق على الشهرين معركة ... غير تلك التي خاطلها مع القرامطة وهي زهاء سبعين معركة<sup>1</sup> .

وقد امتص هذا العدد الضخم من المعارك الطاقة الجباره وفل من الارادة الحديدية للهادى والتي كان يمكن تصريفها لاحادث تحول نوعي لليمن و هي تدل على مقدار العنف الذي لقيه الهادى في اليمن ومدى تعقيد الضروف الاجتماعية، ولا زالت القوى التي اعاقت المشروع الاصلاحي

<sup>1</sup> - شرف الدين مصدر سابق، ص 241.

للهادي هي نفسها مشكلة الدولة اليمنية الحديثة وتمارس نفس الدور تقريباً في اعاقه أي مشروع تحديثي او اصلاحي.

وعلماً حظه طبيعة الدور السياسي لهذه القوى الاجتماعية تؤكد الدراسات السوسيولوجية إن الترعة البرجماتية والانتهازية هي التي تحكم السلوك السياسي للنخب القبلية يقول الباحث اليمني النعمان "إذا كانت القبيلة تسعى إلى الاندماج في كيان سياسي أكبر منها فذلك يعني ضرورة إشراك واحتلال رموز القبيلة مراكز سياسية هامة داخل جهاز الدولة ويعني استمرار حصولها على امتيازات معنوية ومادية..."<sup>1</sup>

وشبّهت دراسة المرصد القبلي بدوّدة العلق التي تغتصب الدم من الجسم.

وفي جواب لسلطان مسيمر (محسن بن علي) أيام الاحتلال الإنجليزي لليمن على سؤال نزيره بك العظم له عما إذا كانوا يفضلون الاتفاق مع الإمام يحيى على الإنجليز قوله "من يعألاً كفنا قروشا فهو سلطاناً حقيقياً".

والزعماء السابقين ليس فيهم واحداً إلا وقد بايع اللهادي وأعلن الولاء لدولته لكن كما هي العادة ولاءات تخضع لاعتبارات نفعية وظروف انية فالدعم كان من المطالبين بقدوم اللهادي إلى اليمن ثم تنكر له بعد وصوله وبعد اشتداد الخصومة بينه وبين آل يعفر والطريق لم يجد أمامه إلا اللهادي، وصعصعة بن جعفر يسلم للهادي نكبة بالدعم ثم يستغل خروج القاسم بن اللهادي على رئيس جيش إلى همدان وبقاء اللهادي في صنعاء في عدد قليل من الجندي، في تأليب القبائل وإعلان التمرد في البون مع جماعه من آل طريف بقيادة أبو زياد الطريفي، ومع اشتداد ضغط علي بن الفضل على آل يعفر أوسطوا الدعام بينهم وبين اللهادي لاغاثتهم وكانوا ابدوا استعدادهم للدخول في طاعة اللهادي وتسليم ما بأيديهم، واستطاع اللهادي استعادة صنعاء وإلحاق الهزيمة بابن الفضل ليعاود هؤلاء إلى أثاره المشاكل وأعمال الشغب، وكذلك الأمر بالنسبة للضحاك من حاشد بايع اللهادي ثم غدر به، ويدرك صاحب انباء الزمن ان ابراهيم بن علي والغطريف بن الحكمي من ثامة طالباً اللهادي بالقدوم وقدمو له العهود الموثقة على الوفاء معه وكلف الحكمي الاهالي باعداد حفل

1 - ورقة بعنوان "ثلاثية الدولة والقبيلة والمجتمع المدني - مقارنة سوسيولوجية الدور السياسي للقبيلة في اليمن وتحديد علاقتها وموقعها بين المجتمع المدني والمجتمع السياسي" لحمد النعمان.

2 - حسين العرشي ،بلغ المرام ،دار الندوة الجديدة - بيروت ،ص 184 .

استقبال وضيافة للهادى وتجهيز الاعلاف للدواب فلما علم الهادى بذلك امر بردھا فاستغرب الحکمی لذلك وادرک الا مصلحة له في الهادى وعلى الفور وقبل ان يبرد رماد الضيافة رتب للانقلاب على الهادى<sup>1</sup>.

ويعمد هؤلاء إلى جملة من الأساليب والوسائل للتأثير على القبائل وهي وسائل غير مكلفة ولا تحتاج إلى تخطيط مسبق فمن ناحية المجتمع القبلي يحمل في أحشائه الكثير من عوامل التفجر الداخلية والوحدة السياسية للقبائل لا ترتكز على اسس ثابتة، فالقبيلة هي وحدة اجتماعية تضم بداخلها وحدات اجتماعية اصغر تقل أو تكثر لا على أساس رابطة الدم فقط وإنما لأسباب سياسية واقتصادية وجغرافية ويلعب شيوخ القبائل دوراً أساسياً في توسيع واستمرار وانماء التحالفات السياسية بين القبائل وفي إعلان حالة السلم وال الحرب كما تخولهم سلطاتهم الاجتماعية، والوعي العصبي عامل محوري في الوحدة السياسية بين القبائل وهو بعدها "ما هو شعور ايجابي يشد أفراد القبيلة هو شعور سلبي إزاء الآخرين"<sup>2</sup>.

وتفرض ايديولوجيا العصبية جموعه من القيم والأعراف الناظمة لسلوك أفراد القبيلة كالانتاصر العصبي والنرة والتضامن كما تنظم العلاقة بين الفئات الاجتماعية داخل القبيلة وبينها وبين القبائل الأخرى، فبسبب الفوضى التي احدثها ابن بسطام في نجران قامت قوات الهادى بملأ حلقته فلحاً إلى قبيلة شاكر لما بينها وبينهم من تحالف سابق و تقتضي ايديولوجيا التضامن القبلي والانتاصر العصبي أن يقاتلوا معه رغم بعثهم للهادى. كما تأثرت دوله الهادى والدولة الزيدية بنظرة القوى القبلية "لوظيفة الدولة كجهاز تحكمي" تحكم اليها القبائل المتنازعه وتقتصر وظيفتها على حفظ السلام بين القبائل...<sup>3</sup>

ويذكر المستشرق البريطاني ر.ب. سيرجنت "أن حاجه القبائل الاساسيه إلى وجود سيد عليهم من البيت المقدس(أهل البيت) يحكم بينهم بمحابيه وعدل أدت بهم دائماً للعوده لإمام ولم يكن الإمام باي حال من الاحوال ملكاً واغماً رئيس ديني"<sup>4</sup>.

1- انباء الزمن، ص 17.

2- الجابري، مصدر سابق، ص 169.

3- مجموعة باختين، مصدر سابق، ص 119.

4- سيرجنت، مصدر سابق.

أضف لذلك إن القبائل اليمنية تاريخياً لم تعرف سلطه غير سلطه شيوخ القبائل سواء في عصر ما قبل الإسلام الذي شهد قيام دولة مركبة وممالك قوية أو ما بعد دخول الإسلام فسلطة الدولة كانت دائماً في الحضر والمدن الرئيسية أما القبائل فلم يكن لها سلطه مباشرة عليها وإنما بواسطة شيوخها وكانت دولة المادى أول دولة في اليمن تسعى لفرض سلطتها المباشرة على القبائل واحتراق هذا التقليد التاريخي .

ومن طبيعة الدور السياسي للنخب القبلية أنها لا تملك رؤية سياسية وليس لديها القدرة على رسم السياسات العامة للدولة أو اقتراح برنامج للتغيير السياسي إلا إنها تملك القدرة على اتخاذ القرارات فهي تشكل جماعة اعتراضية حسب (ديفيد راسيمان) الذي يرى أنها جماعة الاعتراض نادراً ما يكون لدى أعضائها مبادرة واقتراح ولكن لديها القدرة على رفض اقتراحات الآخرين .

وهذه الصفة تطبق تماماً على الدور السياسي للقوى الاجتماعية القبلية المناوئة للهادى فهي كانت تستطيع أن تعيق المشروع السياسي للهادى ليس على أساس أن لديها مشروع سياسي تعارض به مشروع الهادى، واعمال التمرد التي يقودونها لم يكن لها أي أهداف سياسية ولم تكن تتبنى اي مطالب اصلاحية مشروعة ترى ان الهادى لم يتعامل معها بشكل ايجابي ومن ثم يكون لها الحق في المعارضة السياسية او المسلحة لدولته ان لزم الامر ، واما هي منافع ودوافع واهداف الشخصية.

#### 4-الأصول الاجتماعية للقوى السياسية المناصرة للهادى

تحتل السياسة مرتبة متقدمة في الفكر الشيعي والزيدي على وجه الخصوص ويعتمد هذا الفكر السياسي على العقيدة سواء من حيث تنظيم وتوجيه السلوك السياسي أو من حيث كونها تقع ضمن الاهتمامات الدينية للفرد المسلم أو الإنسان المتدين والعقيدة لا القبيلة هي المحدد الأساسي للمشروع السياسي كما ينظر إلى الفكر السياسي الشيعي باعتباره ايديولوجية المستضعفين لذلك كان من الطبيعي أن تستقطب إليها القوى الاجتماعية المهمشة والفتات المهمشة و(الامتنين) كما يسميتها بعض الباحثين كالموالي في العصر الاموي والعباسي، والطبرين في حالة الهادى من ليس لهم هوية قبلية او تتغلب هويتهم الدينية على هويتهم القبلية من المفكرين ورجال الدين، وان يكون أكثر القوى نفوراً منه المتعفين من الاستقرارية القبلية والاقطاعية فعمار بن ياسر والمقداد وابو ذر الغفارى وقيس بن المكشوح وزيد بن ارقم وابو ابيه الانصارى .. وغيرهم

من المستضعفين وكبار الصحابة وقراء القرآن كانوا على رأس معسكر الإمام علي وعلى التقىض منه يقف معاوية بن أبي سفيان الذي نجح في استقطاب أصحاب المنافع وطلاب الدنيا كعمر بن العاص وزياد بن أبيه والمغيرة بن شعبه وقد عمل على تألف رجال القبائل المظريه واليمنية وشراء الظماء بمال والمناصب حتى يضمن ولائها. وكان أبناء علي يخضون بتعاطف واسع في صفوف الجماهير وإن كان تعاطفا سلبيا في اغلب الأحوال كما في العبارة المشهورة عن الفرزدق للحسين بن علي (قلوب الناس معلم وسيفهم عليك) وبحسب الشيخ أبو زهرة فان " ثوره الإمام زيد كانت ثوره الفقهاء والقراء والمتدينين واهل التقى <sup>1</sup> ".

وعلى عهد الدولة الاموية كان المولى أكثر القوى الاجتماعية نقاشه على الارستقراطية العربية وانتشر بينهم التشيع لأهل البيت وقد تمكّن العباسيون بدهائهم استثمار تشيع المولى للاظاهة بالدولة الاموية على أساس البيعة المتفق عليها للنفس الركبة (أحد أئمة الزيدية) والتي حضرها من طرف العباسيين ابو العباس السفاح وابو جعفر المنصور.

ونفس الامر يتكرر مع الحادى فاغلب القوى السياسية المختلفة حوله من الفئات السابقة وهي التي ابلت معه بلاء حسنا وان كانت بعض التخبط القبلية والاقطاعية نتيجة لضيوف سياسية قد تحالفت معه كالدعم راس همدان وبكيل وابو جعفر احمد بن محمد الضحاك رأس حاشد وقد نجح نسبيا في تطويق القوى القبلية بعد جولات عنيفة وقاسية من الصراع العسكري لكن القوى التي اختارت الحادى عن قناعة وكانت محل ثقته هم من المستضعفين والمحروميين والمتوربين واهل الفكر وهذه بعض اسماء رجاله وولاته وقواده كما وردت في بعض المصادر التاريخية التي تيسر الاطلاع عليها

-ابراهيم بن جعفر الفطيمي (ذمار)

-عبدالله بن الحسين الفطيمي(منكث)

-علي بن ذكوان من الطيرين (عدن)

-على بن سليمان من القادمين مع الحادى من بين عمومته(صنعاء)

<sup>1</sup> -محمد ابو زهرة، الإمام زيد حياته وعصره -أراوه وفقيه، المكتبة الإسلامية بيروت (1959)، ص72

- احمد بن محمد من ولد العباس بن على بن أبي طالب (نجران)
- محمد بن عبيد الله العلوي راوي سيرته (وشحة)
- عبدالعزيز بن مروان يقال التجراني (برط)
- محمد بن سليمان الكوفي تلميذ الامام الحادي (خيون)
- محمد بن الحادي (شمام)
- ابن حذيف (الواجبات)
- حسن بن علي بن فطيم (الواجبات)
- ابو عبدالله الرازى من الطبريين (جيشان)
- احمد بن محمد الروية راس مذحج (قائد عسكري )
- محمد بن عباد(شمام)

هذه نماذج لرجال الحادي وهي توضح التركيبة السياسية للدوله وتوضح معاير الاختيار  
للولاة ومن خلاها نلاحظ

ان دوله الحادي تمثل الفئات و القوى الاجتماعية السابقة من رجال الفكر والامتنعين  
والمستضعفين وتکاد تخلو من الارستقراطية القبلية ورغم انتهاء اسماء بعض عناصرها بالقاب تدل  
على هويتها القبلية كابراهيم وعبدالله الفطيمين الا انهم من افراد قبيلة بني فطيم العادين ولم  
يعرف عنهم قبل قيوم الحادي انهم كانوا يتقلدون مراكزا قبلية هامة

- ولاة الحادي خليط من العناصر اليمنية وغير اليمنية فاختيار شخص لشغل وظيفة ما لا يتم  
على اساس مناطقي وهي تنفي مزاعم بعض الدراسات العلميه (المتعرقة) التي تتهم الحادي بالاستبعاد  
العناصر اليمنية صحيح ان الحادي استبعد بعض الزعامات القبلية والاقطاعيه لأنها لم تكن تنسجم  
واهداف دولته السياسية كما سبق.

- الفرز الحاصل للقوى السياسية من حول المادى لم يقصد اليها لا هو ولا القوى السياسية المنوئة او المناصرة له وانما قاد اليه طبيعة البرنامج السياسي والدعوة الاصلاحية الى تبنها وهى لا تمنع من حيث المبدأ استيعاب النخب القبلية ولا تقصى تجاوزها أو استبعادها وانما ذلك مرهون بما تبديه من استعدادها للقبول بسلطة سياسية مرకبة تقوم على مفهوم(الامة) وليس القبيلة كمكون ثقافى ومحدد سياسى ومدا قدرتها على ضبط سلوكها السياسي والاجتماعي لحكم القانون المنظم لدولة المادى والمستمد من مقررات الشريعة وليس الاعراف القبلية وهو ما يمثل حورث المشكلة مع النخب القبلية قديماً وحديثاً فهى تسعى لسلطة تقتصر وظيفتها على تنظيم العلاقة بين القبائل وتقاسم المنافع ولذلك دولة المادى لم تجد صعوبة في استبعاد ابو العناية الطريفى (زعيم اقطاعى وقبلى) وهو وان لم يشغل مهما رسميه الا انه كان يحضر مركز شرف واستشارى رفيع ومن بين عناصر القائمة ابو راية رئيس قبيلة مذحج واحد القيادات العسكرية وقد قتل فى المواجهات بين دولة المادى والقرامطة.

## 5-عصبية المادى(الشرف الاجتماعي )

يعتبر طه حسين ابن خلدون واحداً من اثنين يحتفظ تاريخ الاداب العربية منذ عصر الجاهلية الى عصرنا بذكرهما لما يمتازان به من ابتكار خارق .

وتنظر اغلب الدراسات الخلدونية اليه على انه رائد او مؤسس علم الاجتماع، والمؤكد ان الفكر الخلدوني يعد محاولة تأسيسية استثنائية في تاريخ الفكر العربي والاسلامي لكن هذا لا يجب ان يغرس الى الركون الكامل الى المقولات الخلدونية ومنها نظريته في العصبية التي يجعل منها الحرك للتاريخ وشرطها للرئاسة على اهل العصبية اذ لا تكون في غير نسبهم و الملك لا يحصل الا بالقبيل عصبية

ومن دون ان ينكر الدور الذى تلعبه العصبية الخلدونية في تفسير احداث التاريخ العربي يشير المفكر المغربي / عابد الجابري الى التحابيل الذى يمارسه ابن خلدون على الواقع التاريخي الذى تتعارض مع طبائع العمران كما فهمها وقررها وتكييفها ومطمسطتها بشكل غير مشروع، ومن اجل تلافي الحرج الذى تسبب فيه تراس "ابن تومرت" الذى ينتهي نسبه الى اهل البيت على قبائل مصمودة المغاربيه يزعم ان نسبة الفاطمى كان خفيا قد درس عند الناس، وف ما يتعلق بالدوله الادريسيه لا يستطيع ابن خلدون انكار انتقامه الادارسة لاهل البيت لذلك يلجن الى مطمسطه

مفهوم العصبية، فيكفي ان تكون في اهل (النصاب الملكي) (عنى ان العصبية التي كانت لاسلاف هذا الشخص في عهود سالفة يمتد تأثيرها اليه<sup>1</sup> ...

الدولة الزيدية التي اسسها المادى في اليمن هي الاخرى توجه صفة نظرية العصبية الخلدونية فالمادى وان تعزمشروعه الكبير الا انه نجح في التأسيس لدولة تعد الاقوى بين الدوليات اليمنية في العصر الوسيط والاطول عمرًا في تاريخ الدولة الاسلامية ولا يتناق ذلك مع ما مر عن دور العصبية القبلية في تاريخ الامة العربية قبل الاسلام وبعد الاسلام على حد تعبير طه حسين فانه اذا استثنينا الاعين عام الاولى من تاريخ الاسلام ليس الا سلسلة طويلة من الخصومات بين القبائل<sup>2</sup> ..

لكن ليس العامل الحاسم فيها خصوص انتماء المادى لعصبية غير العصبية القحطانية للقبائل اليمنية كما تقرر النظرية الخلدونية وانما بالنظر الى طبيعة سمات المجتمع القبلي كما تحددها الدراسات السوسيوانثربولوجية، وانتماء الحاكم الى عصبية الحكمين هو عامل ضمن حزمة من العوامل المتداخلة يتاثر الدور الذي يلعبه على الصعيد السياسي من حيث القوة والضعف بجدلية مع منظومة المتغيرات الاخرى . وبالنسبة لتاثير هذا التغير على دولة المادى فعلى فرض انه كان حفيدا للملك السبئي ابي كرب اسعد الكامل وليس علي بن ابي طالب، او ان جدته هي بلقيس بنت المدهاد وليس فاطمة الزهراء، او انه سليل احدى الاسر الحميرية الشهيرة او كان من اب وام قحطانيين لما كانت وضعيته احسن حالا بدليل ان القبائل اليمنية مارست نفس الدور مع حكومات ذات عصبية قحطانية و بوتير اشد كال يعفر والدولة القرمطية لعلي بن الفضل ذي الاصول اليمنية ولازلت تمارسه مع الدوله اليمنية الحديثة في الالفية الثالثية .

فابن خلدون يبالغ في الدور الذي منحه للعصبية كمحرك للتاريخ والخطا الذي وقع فيه يشبه ما وقعت فيه الماركسية بتركيزها على الواقع الاقتصادي واهماها العوامل الاخرى مع ان علماء الاجتماع على اختلاف رؤيتهم للواقع الاجتماعي يتغوفون على الدور المتعاظم للبنية الاقتصادية على كافه من اساليبي الحياة . و من نقاط الضعف في العصبية الخلدونية ان القوة الاجتماعية ويعنى بما قدرة الفرد على

1 - الجابري، مصدر سابق، ص 126-128.

2 - طه حسين، مصدر سابق، ص 186 .

فرض ارادته وسلطته على الآخرين في المجتمع لا تتحدد بمحدّدات جينالوجي فقط وإنما بمحدّدات اقتصاديّة واجتماعيّة ودينيّة<sup>1</sup>.

يمكّن تحديد مصادر القوّة السياسيّة للهادى في التالي

- الكاريزمـا الشـخصـية وقد سـبقـ الحـديثـ عنـهاـ
- الدـعـوةـ الـاخـلاـقـيـةـ،ـ وـ المـشـرـوـعـ الـاـصـلـاحـيـ وقد سـبقـ الحـديثـ عنـهـ
- ـ الشـرـفـ الـاجـتمـاعـيـ كـماـ يـسـمـيهـ عـالمـ الـاجـتمـاعـ الـأـلـانـيـ ماـكـسـ فيـرـ وـيـعنـيـ ماـخـلـعـهـ الجـمـاعـةـ عـلـىـ
- ـ الشـخـصـ منـ هـيـةـ وـالـشـرـفـ الـاجـتمـاعـيـ للـهـادـىـ وـاـنـ كـانـ فـنـشـئـهـ اـنـتـسـابـهـ إـلـىـ ذـرـيـةـ النـبـىـ
- ـ مـحـمـدـ(صـ)ـ لـكـنـ لـيـسـ وـفـقاـ لـعـصـبـيـةـ الـخـلـدـوـنـيـةـ نـظـرـاـ لـطـابـعـ الـدـيـنـ الـذـيـ يـطـبـعـ هـذـهـ الـقـرـابـةـ
- ـ وـيـتـجاـزوـ بـهـ كـلـ الـعـصـبـيـاتـ وـالـعـاطـفـةـ الـدـيـنـيـةـ لـذـرـيـةـ النـبـىـ الـمـوـلـدـةـ عـنـ الـمـكـانـهـ الـدـيـنـيـهـ لـهـ،ـ فـالـشـرـفـ
- ـ الـدـيـنـيـ لـنـبـىـ كـانـ مـفـعـولـهـ يـمـتـدـ إـلـىـ ذـرـيـتـهـ وـلـذـلـكـ عـادـةـ مـاـ كـانـ الثـوـارـ وـالـدـعـاءـ مـنـ الـبـيـتـ الـعـلـوـيـ
- ـ يـوـضـفـوـهـ لـخـدـمـةـ مـشـرـعـهـ السـيـاسـيـ فـيـ اـسـتـدـارـ عـواـطـفـ الـجـمـاهـيرـ

وكم هو معلوم في تاريخ الأدب العربي أن سياسه بن امية في المنافسة بين القبائل كان من نتائجه نشوء خصومة شديدة بين القبائل العربية والقبائل اليمنية والمصرية على نحو خاص، ومن الحكايات الطريفة والمغيرة ما ورد في حمودة احمد امين عن المبرد ان رجلا من الاخذ من الاخذ دكان يطوف بالبيت وهو يدعوا لايده فقيل له الا تدعوا لامك فقال "انما ت Kamiye"<sup>2</sup>.

واسفرت هذه الخصومة عن ظهور لون ادب جديد عرف بشعر النقائض يقوم على المفارقات العصبية والقبليه الا ان هذه المفارقات كانت تستثنى قرابة النبي فدبل الخطأ كان يتعصب لقططان ويناقض الكميّت الذي يتعصب للعدنانية وفي نفس الوقت كل الشاعرين قالا اجدد القصائد في مدح اهل البيت في ذلك يقول احمد الشامي ان قصائد دعلم "قططاني" في اهل البيت تسبق هاشميات الكميّت بل كان الشاعراء الشيعه من القططان من قضية اهل البيت وماسيهم ذريّه لشتم العدنانيين "وذكر ان قصيدة الدامغة للشاعر اليماني المهداني رد على

<sup>1</sup> محمد عودة، اسس علم الاجتماع، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت، ص 207.

<sup>2</sup> احمد امين، ضحى الاسلام ، ط 10 ، دار الكتاب العربي بيروت، جـ 1، ص 20.

الكيميت بن زيد وليس على العلوين كما زعم البعض وانه كان يسلك مسلك دعبد والحميري والاسلمي وبن العليف والمهلب من الشعراة القحطانيين الشيعة<sup>1</sup>.

وبالنسبة لهاشمية الهادى فقد لعبت دوراً مزدوجاً فمن ناحية انتماء الهادى للاسرة الهاشمية كان احد اسباب جلوء القبائل اليمنية اليه أى ان القبائل كانت تقصد ان يكون الشخص الذى تستقدمه من ابناء علي رعما بسبب العلاقة التاريخية التي تربط القبائل اليمنية بالامام علي كما مر، اضافة الى ان العلوين كانوا هم ملاد الجماهير كلما سأت احوالها وارادت ان تتحقق على وضعها او تعر عن ضيقها وقد تنجح الجماهير في مساعها وينجحون معها وقد تحقق ويختفون معها .

وكان الهادى يحاول الاستفادة من نسبة في استشارة عواطف القبائل اليمنية وعساذه في خطاباته للقبائل يذكرهم باهداف دعوته النابعة من القرآن والسنة ورغبتة الصادقة في الاصلاح ويعز ذلك بكونة من اسرة النبي (ص) مايعنى ان عامل القرابة عامل مساعد يعززمن موقفه السياسي والديني ولم يكن لنسب الهادى دور واضح في توتر العلاقة بينه وبين التخب القبلية، نعم وردت في تصريحات بعض مناوئيه الاشاره الي نسبته العلوية كما جاء في حاججه اصحاب الدعام له على قوله بالسلام مع الهادى "لانسلم ملكا قاتلنا ال يعفر عليه لهذا العلوي" او في رفض ال طريف دخول الهادى صناعة بقولهم "لا نريد هذا العلوي" لكن كما هو واضح ليس فيها اشاره صريحة الى ان علويته هي سبب رفضهم اياه بقدر ما هي لقب لتمييز شخصية والعلوى او العلوين لقب شاع استخدامه خاصة بعد قيام الدولة العباسية لتمييز ابناء على عن بقية قرابة النبي يستوي في ذلك اليمن وغيره من بلدان العالم الاسلامي، وفي كلام اصحاب الدعام تصريح بسبب رفضهم فالعنت الذي لاقوه في قتال ال يعفر يجعلهم اولى بالملك فكيف يقدموه على طبق من ذهب للهادى، وقد من اسباب توتر العلاقة بين الهادى والقوى القبلية في دراسته عن الدولة الزيدية اشار الخضرى الى دور اموال الزكاة التي كان يلزمهم الهادى بدفعها في تمرد القبائل اليمنية

## 6 - المؤثرات الثقافية

<sup>1</sup> احمد الشامي، جنایة الاکروع على ذخائر المعدن، ط١ ، دار الفناس (1980)، ص 77-71 .

تلعب الثقافة دورا اساسيا في إحداث التحولات الاجتماعية والسياسية للمجتمع وتشكيل وعيه السياسي والديني وتؤك على أن القدرة على المعالجة العقلانية والمنطقية للمواقف وعلى تغيير سلوك الناس عن طريق مواجهه هؤلاء بأفكار جديدة وأنماط سلوكيه جديدة<sup>1</sup>.

ويعتبر العامل الثقافي من اهم نقاط الضعف في دولة المادى فعند توجهه الى اليمن لم يجد الكثير من اقاربه في الحجاز في انفسهم الرغبة في مرافقته الى اليمن ولذلك توجه على راس وفد متواضع من ابناءه وبعض ابناء عمومته وخدمه وكان موكله يفتقر الى العدد الكافي من المبشرين الدينين الذى يتطلبه نجاح دعوته الاصلاحية ومشروعه السياسي فاليمن كانت باسم الحاجة الى عمل تبشيري نشط ومكثف يفضى الى احداث تحول ثقافي واجتماعي يساعد المادى على تحقيق مشروعه الطموح وتجاوز الثقافة القبلية التي تشكلوعي المجتمع وتفقد سدا منيعا يعيق نشاطه السياسي والديني. و قبل وصول المادى كانت اليمن "قد فقدت كل قيمة مقيدة في التاريخ العام<sup>2</sup>".

والحياة الفكرية كانت في غاية البؤس ان لم تكن منعدمة حتى تردد حملة المادى بجموعه من المفكرين ورغم ان الامداد الطبرستانى كان يضم عدد من العلماء والمفكرين امثال احمد بن موسى الطبرى و محمد بن سليمان الكوفى و عمر بن ابراهيم الكوفى وغيرهم من اسهموا في اعاش الحياة الثقافية في اليمن وفي صعدة بالذات الا ان اعداد المبشرين لم يكن يفي بالحد الادنى من الاحتياج الثقافي للمناطق التي تنظم لدولة المادى، وكان التوسع العسكري لا يترافق معه توسيع ثقافي بنفس الدرجة يكون عقدوره ان يهز البناء الايديولوجي القبلي للمجتمع .

وتتأكد ضرورة النشاط الثقافي والتبشيري إذا عرفنا حجم التحول الذي أحدثه الإسلام في الواقع الاجتماعي لليمن فاليمنيون وان كانوا قد تخلوا عن عبادة الأوثان وتحولوا إلى عباده الله واحد وفقا للتصور الإسلامي إلا أن كثيرا من العادات المتدينة إلى العصور السابقة للإسلام بقيت تمارس دورها وحافظت الثقافة القبلية على مكانتها كثقافة مرجعية للمجتمع، وبقي اثر الثقافة الدينية في تشكيل الوعي السياسي والاجتماعي للقبائل اليمنية متضائلا .

1 - محمد عودة، مصدر سابق، ص 110 .

2 - أغناطيوس غريدي، محاضرات في تاريخ اليمن ت ابراهيم السامرائي ط 1 دار الحداثة (1986)، ص 96 .

وبعد ان المادى استطاع ان يحرز نصرا سياسيا وعسكريا خاطفا في الايام الاولى لدولته وكان ماله من جاذبية دينية وهيبة سياسية تسقهانه الى المناطق التي استطاع ان يفتحها فتحا سياسيا لكن هذا التحول السياسي كان على السطح ولا يمكن الاطمئنان اليه ما لم يقم على اساس تطور بنوى للمجتمع وحدوده رهن بجملة شروط ثقافية واقتصادية غير متحققة في اليمن كما سبق فمن ناحية كانت الضرف الاجتماعي يتطلب ترکز الجهد في الشاط الدعوي والعمل التبشيري والثقافة الذي يعهد لتأسيس الدولة ويرافق مراحل تطورها لاحداث التحول البنوى اللازم لقيام المجتمع الذي يهدف مشروع المادى الاصلاحي تحقيقه دينيا وسياسيا واجتماعيا.

نعم كانت بذرة التشريع قد بدت قبل مجئ المادى الا انها لم تكن اكثرا من عاطفة اجتماعية تربط القبائل اليمنية بالامام علي الذى قدم اليمن في العام (8) لنشر الاسلام. ولم يتحول الى تشييع عقد او سياسى ي والمادى كان يدرك هذا وقد سعى للتغلب على العجز في هذا الجانب وفي الجانب العسكري ايضا بمكافحة العولمين والشيعة لطلب الامداد والاعانة الا ان العولمين في الحجاز لم يفاعلوا معه بياجائية والامداد الطبى على اهميته لم يكن يفني بالغرض فضلا عن امتصاص الجانب العسكري لاعمالهم لانه كلما توسيع السلطة المادى احتاج الى وفرة في المال والرجال من المقاتلين والسياسيين والمفكرين وكثيرا ما كان رجال دوله المادى يضرون الى تحمل اعباء مضاعفة لتغطية العجز في النواحي الثقافية والسياسية والعسكرية والتوفيق في ان واحد بين العمل السياسي والعمل التبشيري والعمل العسكري الذى لم يكن يعنى احد منه من فيهم المادى نفسه اذ كان يباشر العمليات القتالية بنفسه.

ومهما تكون الظروف ربما كان على المادى قبل المسير الى اليمن ان يبعث بدعاته مع وفود القبائل اليمنية الى تطالب بقدومه كخطوة اولى تمهد لقادمه ومن ناحية اخرى اى حركة اصلاحية او سياسية في ظروف كهذه لا يجب ان توقعها كبيرة ولزاما عليها ان تبدأ مباشرة عملها السياسي والاصلاحي من نقطة متذرية تستهدف المجتمع لاعادة بناء فكرها وسياسيها واجتماعيا وان يكون تحرركها على مراحل .

● اصبح من المتافق عليه بين علماء الاجتماع والانثربولوجيا ان من غير الممكن فهم وتحليل مكونات البناء الاجتماعي من دون فهم النسق الاقتصادي للمجتمع فالنظم الاقتصادية تعد مدخلاً اساسياً في تفسير الظاهرة الاجتماعية لدى اغلب النظريات السوسيولوجية على اختلاف درجاتها تركيزها وقد نبه ابن خلدون الى اهمية العامل الاقتصادي في التطور الحضاري والسياسي في نظرته الى ان اختلاف الامم فيما بينها يرجع الى اختلافها في نخل معيشتها، ونقصد بالعامل الاقتصادي الطريقة المتبعة في عملية الانتاج والتوزيع وقدرها على تحقيق فائض اقتصادي.

وفيما يتعلق بالوضع الاقتصادي لليمن في القرن الثالث الهجري لا تسعننا المصادر التاريخية بمعلومات وافية، فتركيز المصادر التاريخية التي تناولت عصر الامام الحادى كان على تسجيل سير الاعمال العسكريه بين القوى السياسية والاجتماعية المتصارعة لكن المعلومات المجتمعية تفيد ان اليمن في هذا العصر كانت تعانى اضافة لازمامها السياسية ازمة اقتصادية حانقة وبحسب هذه المصادر ان شح الموارد المالية وتدهور الزراعة التي تعد القطاع الانتاجي الرئيسي بسبب الجدب وال الحرب من بين الاسباب التي حملت القبائل اليمنية على معاودة مراسلة الحادى (انظر انباء الزمن ص 18) وقد من بنا ان اليمن كانت قد فقدت اهميتها التجارية والقطاع الزراعي كان تضرر على نحو بالغ بعد حداثة سيل العرم وانكسار السد .

والقوصى السياسية وانعدام الاستقرار كانت تعرض القوافل التجارية للخطر وقدد حياة المسافرين ولذلك بقي القطاع الزراعي هو ركيزه الاقتصاد اليمني وتعتمد على الامطار والغيول والوسائل البدائية للرى، اما الري الصناعي بإنشاء السدود والخواجز المائية فتذكر بعض المصادر التاريخية وجود بعض السدود كسد الخانق في صعدة وسد اخر في ساقين دمرها ابراهيم الجزار قبل وصول الحادى فضلاً ان اليمنيون ربما كانوا قد فقدوا حماستهم للسدود بعد حداثة العرم ولم تعد من الوسائل المعتمدة للرى و الجماعات الصغيرة لا تقوى عليها، وتتفاوت مناطق اليمن من حيث خصوبتها اراضيها ووفرة مخصوصها الزراعي ونسبة هطول الامطار الموسمية.

وبشكل عام الفلاحه ليست مصدراً للغنى ولا تتحقق فائضاً اقتصادياً ويختصر للتقلبات الطبيعية والسياسية والمناخية واقتصاد المجتمع الزراعي اقتصاد يقوم على الكفاف ولا يعرف الرفاه والثراء ولا يسمح بقيام تفاوت طبقي والمستوى المعيشي للأفراد يكون متقارباً وهذا الوضع المعيشي هو المسؤول بدرجاته كبيرة عن بلوره الاوضاع الاجتماعية والسياسية للمجتمع القبلي.

وفي اطار ربط الضروف الطبيعية والبيئية بطراز الشخصية فان استثمار الطبيعة القاسية لليمن ارتبطت دوماً بالجهد الانسان المبذول وانه عندما يكفي الانسان اليمني عن التدخل او حتى الاغفال لبعض الوقت في ترويض الطبيعة سرعان ما تغدر به وتعود الى تمرداً وترفض معها ان تمنحه ادنى حدود اسباب البقاء.

كما انعكس هذا الجهد الانسان لاستثمار الطبيعة في بناء الشخصية وغلو الثقافة وال العلاقات الاجتماعية والانتاجية في المجتمع اليماني حيث تواصلت في شخصية الانسان اليمني منذ القدم روح الحذر وعدم الركون الى ما هو معطى او الاطمأنان اليه والاستعداد الدائم للتعامل مع اشد متغيرات الزمن سلباً وايجاباً بدرجات متوازية من الحذر والتفائل وحساب الاحتمالات وهو لذلك انسان مرن في تصرفه وعواطفه عملي السلوك والتفكير متواضع العقيدة قليل الاهتمام بالاورايات شديد الاعتداد بنفسه وارضه .يسعى لتحسين ذاته من خلال اندماجها بالبيئة والمكان والجماعه التي ينتمي اليها .لا يحتمكم للنظام الرسمي بسهولة ولا يعترف له قط بحق السلطة المطلقة مشبع بترعه التمرد على كل ما لا يستجيب لقناعاته سواء صحيحه او خاطئه في مصلحته او ضدها<sup>1</sup>.

وعن اثر هذا الوضع الاقتصادي على دوله اهادى فمن حيث المبدأ امكانية قيام الدولة كظاهرة اجتماعية ترتبط بحاجة المجتمع ومستوى التطور الاجتماعي وتوافق الشروط المادية والمعنوية التي تهيء عملية الانتقال من القبيلة الى الدولة والانتاج الزراعي والحيوان والقطاع الحرفي السائدان اثنان لا يوفران فائضاً اقتصادياً يزيد عن الحاجة الضرورية للمجتمع والعادات الاقتصادية التي تحصلها لخزينة الدولة لا تفي بالحد الادنى من الاحتياجات الاساسية

<sup>1</sup> محمد عيد الرغير، عنت الاطفال الابعاد الاجتماعية لظاهرة العنف لدى الاطفال في المجتمع اليماني ،مطابع الشرطة للطباعة والنشر يه (2003)، ص. 7-73.

للدولة لان قدرها على بسط نفوذها يتطلب وفرة في العدد والعدة في المال والرجال وتزداد حاجتها كلما توسيع سلطتها ، ومصادر تمويل الدولة كانت تعتمد على ما تفرضه على الاصناف المختلفة للزراعة والثروة الحيوانية اضافة للغائم التي يحصلون عليها اثناء المعارك وكانت السياسة المالية للدولة المادى رغم تشددها في قبض اموال الزكاة لا تسمح بأرهاق المزارعين بفرض مزيد من الضرائب كما سبق الامر الذي تسبب في العديد من المتاعب فمن ناحية ادى العجز في الانفاق على الجندي تسريح من صفوف معسكر المادى وتعرضهم للاغراء بزيادة رواتبهم للانصراف عنه واللحاق بمعسكرات خصومه وقد اضطر المادى الى الانسحاب من صنعاء بسبب العجز والتقيات الازمة للبقاء فيها بعد ان رفض اهل صنعاء اقراضاً ومن ناحية اخرى كان تشدد المادى في قبض اموال الزكاة كاملاً يجعله يصطدم بالقبائل خاصة القبائل القوية فالقبائل ذات المنعة تعودت ان تمنع ولاء سياسياً شكلياً للسلطات المركزية مقابل اعفائها كلية او جزئياً من دفع الزكاة او اي اتاوات اخرى وخاصة رجالها الاقوياء والنافذون وكان المادى يصر على اخذ الزكاة من القوي والضعف على حد سواء كما ان شيوخ العشائر اعتادوا كما جرت الاعراف القبلية ان جبايه المستحقات من اختصاصهم وكانت السلطات السابقة تفاوضهم على مبالغ مالية يدفعونها مقابل اطلاق ايديهم من المستحقات وضمان ولاء قبائلهم للدولة.

ومن ناحية ثالثة الانتاج الزراعي او الاقتصاد الزراعي يسهم في الحفاظ الوضع الاجتماعي على ما هو عليه ويحافظ على تمسك البناء القبلي ومفرزاته على الوضع السياسي والثقافي خاصه في المناطق الجبلية والشحيبة الامطار وقد عزت دراسه المرصد السيمين قوة التاثير السياسي لقبيله حاشد وبكيل مقابل محدوديه الاثر السياسي لقبائل حمير ومذحج وكندة الى طبيعة الدولة الزيديه التي لم تؤسس اي مؤسسات حكومية كما قالت في حين القبائل الاخيرة شهدت قيام بعض الدول التي اتسمت بطابع مؤسسى مثل الدولة الايوبيه والرسوليه والعثمانية والاحتلال الانجليزي.

الا ان ماذكرته دراسه المرصد لا يستند الى اي دليل منطقي فضعف البناء القبلي هنا وقوته هناك فرضته عوامل اقتصادية وجغرافية كما تؤكد الدراسات فالمناطق الزراعية في حاشد وبكيل هي الاقل خصوبية ونسبة امطار مقارنة بالاراضي الاكثر خصوبة في السهول التهامية فضلا عنما توفره الموارد البحرية من حرفة تجارية فكان المستوى المعيشي لهذه المناطق

افضل اضافه الى انها منطق سهلية توفر فيها فرص افضل للاشراف الحكومي ولحركة الجيش بعكس التظاريس الوعرة لاغلب حاشد وبكيل التي تعيق تحرك الجيش وتسهل حركات التمرد وتصعب من امر الاشراف المركزي للدولة : وقد شكلت التظاريس في المناطق الشمالية عائقا كبيرا امام القوات العثمانية المزوده ببعض الاسلحة الحديثة التي تجرها العربات.

وما سبق لا يعني ان الدول المشار اليها كانت تنعم بالاستقرار فالدول العثمانية وان تلقت الضربات الموجعة في الاقليم الشمالي الا انها لم تعم بالمدوء في كل المناطق اليمنية والدوليات الاخرى لم تستطع الصمود لاكثر من ثلاثة اجيال ، كما لم تعم كثيرا بالاستقرار وقامت فيها اكثر من حركة للتتمرد رغم التسهيلات الاقتصادية والجغرافية ولم يستطع اي منها مد نفوذه الى المناطق الجبلية الا لفترات يسيرة في حين الدولة الزيدية استطاعت ان تمد من عمرها لقرون مديدة وان تصمد لعاديات الدهر لانها كانت تملك من عناصر القوه واسباب البقاء اكثرا مما لدى الدوليات الاخرى

وربما الاكثر وجاهه ان تماسك البنية القبلية استطاع ان يخترق الدور السياسي والفكر السياسي للزيدية فالتنافس بين زعماء القبائل تحول في حالات ضعف الدولة الزيدية الى تنافس سياسي زيدي- زيدي بين القايدات الروحية والسياسية واصبح لكل قبيلة رموزها الروحية والقبلية ، وكل قبيلة تعصب لشيخها وامامها واستطاعت الثقاقة القبلية ان تعكس نفسها في بعض جوانب الفكر السياسي والفقهي للزيدية

#### نهاية:

أي دعوة اصلاحية شاملة كدعوة المادي الرسي يكون بمحاجتها بقدر ما يتتوفر لها من تسهيلات اجتماعية واقتصادية ومعرفية واليمن لم يكن البيئة التي توفر مثل هذه التسهيلات، اجتماعيا تتمتع اليمن قديما وحديثا بنية اجتماعية عصبوية قبلية وتعود القبيلة من اكثرا العناصر الاجتماعية والسياسية فعالية فيه ويعتز بوفرة قبائله، وقد زاد من تعقيد الوضع الفوضى السياسية وانعدام الوحدة السياسية والحروب القبلية التي لا تنتهي حتى تبدأ وكثرة الطامحين المناوئين للهادي. ومع ان القبائل اليمنية اخذت منذ (628) في الانظام الى الدين الجديد الا انه لم يطرأ على الوضع الاجتماعي تغيرات جوهرية، وقبل وصول المادي كانت الحياة الثقافية شبه منعدمة وقبل ان يؤسس المادي مدينة صعدة التي

اصبحت فيما بعد مركز اشعاع حضاري وعلمي لم يكن هناك حراك ثقافي نظيرها هو كائن في الكوفة والبصرة والقاهرة ... من بلدان العالم الإسلامي.

وكان جموعة من العوامل قد ادت الى فقدان اليمن ما لها من حيوية اقتصادية وبنى القطاع الزراعي والحيواني هو ركيزة الاقتصاد اليمني وهو لا يوفر فضلاً يزيد عن الحاجة الضرورية للمجتمع، وكان هذا لوضع الاقتصادي يسهم في الحفاظ على الوضع الاجتماعي ويزيد من تماسك البناء القبلي بما له من افرازات على الوضع السياسي.

وقد شكل هذا الوضع اكبر تحدي لدولة الهادي ووقف عائقاً امام مشروع الهادي الاصلاحي الذي كان يتعارض مع الوعي القبلي السائد وايديولوجيا التظامن القبلي والتناصر العصبي، وكان تفصيل تجربته السياسية على العقید يشكل اختراقاً للقبيلة ومنذ اليوم الاول اهم القوى السياسية التي وقفت بوجه دولة الهادي النخب القبلية.

ورغم النجاحات النسبية التي حققها الهادي الا انها لم تكن بمحض طموحات الهادي ولا الجهد الضخمة التي بذلها من اجل تطويرillard القبلي وقهر الواقع الاجتماعي ومع انه كان قد ابدا تردداته في الذهاب الى اليمن فانه ربما اخطأ في تقدير امكانات الواقع اليمني الاجتماعية والاقتصادية.

### **The social system based on tribe in Yemen and its effects on the political and cultural role of Zaidiyya**

#### **ABSTRACT**

This article mentions the social system based on tribe in Yemen and its effects on political and civil role of Zaydism in this region. It has been analyzed by using both classical and modern history and sociology sources in the article. Both the geographical conditions and social system based on tribe has affected the formation of Zaidiyya. By virtue of these two factors, Zaidiyya's development and taking root in this region is analysed sociologically. Especially, al-Hâdi al-Rassi's political experience between A.H. 284-298/897-911 in Yemen are analysed and evaluated sociologically.

**Key words:** Sect, Shi'a, Zaidiyya, sociology, al-Hâdi al-Rassi, tribe.